

الإرشاد

إلى معرفة

الإسلام الحقيقى



مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ



مدرّسي، حسين

الإرشاد إلى معرفة الإمام الجواد عليه السلام / المؤلف حسين المدرّسي، - طهران: دار محبي

الحسين عليه السلام ١٤٢٤ق = ٢٠٠٣م = ١٣٨٢ش

ISBN 964 - 7373 - 43 - 0 ٥٦٠٠ ريال

١٥٩ ص.

فهرست نویسی براساس اطلاعات فیا.

عربی.

کتابنامه به صورت زیر نویس.

١. محمد بن علی عليه السلام، امام نهم، ١٩٥ - ٢٢٠ق. الف. عنوان.

٢٩٧ / ٩٥٨٢

٤ الف ٣٧م / ٤٨ BP

٢٩٠٤٠ - ٨١م

کتابخانه ملی ایران

الإرشاد إلى معرفة الإمام الجواد عليه السلام

المؤلف: سيد حسين المدرسي

الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام

الطبعة الاولى - ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م / ٢٠٠٠ نسخة

السعر: ٥٦٠٠ ريال

مركز التوزيع: طهران - ناصر خسرو - زقاق حاج نايب - هاتف ٣٩٠٧١٨١

ISBN 964 - 7373 - 43 - 0

شابك ٠ - ٤٣ - ٧٣٧٣ - ٩٦٤

المطبعة: عترة - قم - ٦٦٦٢٢٧٠

الفلم والزنك: نينوا - قم ٧٧١٩٥٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«اللَّهُمَّ وَلِيُّكَ الْحَبَّةُ، فاحفظه من بين يديه، ومن خلفه،
ومن يمينه، ومن شماله، ومن فوقه، ومن تحته، وامدده له
في عمره، واجعله القائم بأمرك، المنتصر لدينك، وارِه
ما يُحِبُّ، وتقرَّ به عينه في نفسه، وفي ذريته وأهله
وماله، وفي شيعته، وفي عدوه، وارِه من ما يحذرون،
وارِه فيهم ما تُحِبُّ وتقرَّ به عينه، واخضع به حُدُودنا
وحُدُود قَوْمِ مُؤْمِنِينَ.»

الإمام الجواد (ع)

(مَنْ لَا يَحْصُرُهُ الْفَقِيرُ ج ١ ص ٢٢٧)

مقدمة

لله الحمد أولاً وآخراً ، وله الشكر ما بقيتُ وبقي الليل والنهار ..

و الصلاة والسلام على محمد المصطفى ﷺ وعلى آله الطاهرين . واللعنة الدائمة على أعدائهم : أعداء الله ، إلى يوم الدين .
و بعد ..

تمضي القرون ، وتتقضي الليالي والأيام .. وتتطوي صفحات الأحقاب والعقود ، ويأكل الزمان على الغابرين ويشرب ، ولكن .. يبقى أهل البيت ، الذين ورثوا الكتاب ..

لن ينطفئ ذكرهم ما بقي للقرآن من ذكر ، ولن تزول آثارهم ، ما لم يزل للقرآن أثر ، حيث أن الحق قضى : (لن يفترقا) إلى يوم يبعثون ..

كيف يموت ذكرهم ، وبذكرهم قامت السماوات وسطحت الأرض ؟

وأنا لفضلهم أن ينكر ، وهو آيات مباركات في كتاب الله ؟
لقد قرن الله أسمائهم باسمه ، وذكرهم مع ذكره ، فيأبى إلا أن

يُخَلَّد ذِكْرُهُمْ مَهْمَا فَعَلَ الْفَاعِلُونَ . .

ثُمَّ إِنَّهُمْ ، شَكَرُوا لِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، جَاهَدُوا فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ ،
وَشَرُّوا أَنْفُسَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ ، وَلَمْ يَشْرِكُوا بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، فَقَدَّمُوا
رِضْوَانَهُ عَلَى الدُّنْيَا ، حَتَّى غَدَرَ بِهِمُ الدَّهْرُ الْخَوْنَ . وَلَكِنَّهُمْ رَضُوا
قَضَاءَ اللَّهِ لِأَنْفُسِهِمْ بِالشَّهَادَةِ ، وَلَأَصْحَابِهِمْ بِالتَّشْرِيدِ ، وَلِشَيْعَتِهِمْ
بِالْقَمْعِ ، وَلَأَخْبَارِهِمُ الَّتِي كَتَبَهَا أَصْحَابُهُمْ بِالْحَرْقِ وَالْفِرْقِ وَالِدَفْنِ . .
هَذَا الْإِمَامُ الْجَوَادُ وَهُوَ لَا بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، كَتَبُوا مِنْ أَخْبَارِهِ
وَأَحَادِيثِهِ مِائَاتَ الْكُتُبِ ، وَلَكِنْ يَدُ الْقَدَرِ طَالَتْهَا وَأَحْرَقَتْهَا أَوْ أَقْبَرَتْهَا
فِي الرَّمَالِ؛

❖ (أحمد بن محمد البرقي) ، له مؤلفات تبلغ المائة ، ولكن لم
يصل منها إلَّا كتابه : (المحاسن) و(الرجال) ؛
❖ و(الحسين الكوفي الأهوازي) ، له ما يربو على ثلاثين
مؤلفاً . فأين هي ؟

❖ و(عبد الرحمن التميمي) - من أصحاب الجواد المعتمد - ،
أين كتبه ؟

❖ و(عبد العزيز بن يحيى) ناهزت كتبه المائة والتسعين كتاباً ،
ولم يبلغنا منها شيئاً !

❖ و(صفوان بن يحيى) - وكيل الإمام الجواد (عليه السلام) - ، كتب
أكثر من ثلاثين مصنفاً ، ولكنها أين ؟ . . وغيرهم كثير .

وبعد ، لقد فرض الله على موالي أهل البيت ذوراً لا بد لهم من
القيام به ، وهو : إحياء أمرهم .

فقد أمر الإمام الصادق عليه السلام شيعته قائلاً: (أحيوا أمرنا. .) فكل من حيث يستطيع، بما يستطيع، . . ولو بكلمة.

وها أنا ذا أدلوا بدلوي -ولو كان جهداً متواضعاً - بالكتابة عن الإمام الجواد عليه صلوات المصلين. . علماً أن استحالة الأحاطة بكل ما در من فضائل هذا البحر واضح، إلا أنني قد اغترفت منه بمقدار. .

ولما رأيت نفسي أخوض في غمرات بحره، وأغوص في عباب لججه، لا أدير طرفاً، يميناً أو شمالاً، إلا وتموج علي أنواره، فهو كل من سبقه. . هو محمد وهو علي، وهو حسن وهو حسين، هو هم، ولكن في قالب آخر. .

فليس لي إلا أن أملأ كفي من ذلك البحر الزخار، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ما لا يدرك كله، لا يترك كله)^١. . فإنني -بعون من الله - آخذ منه على قدر ما يتسع له صدري، لا بما هو أهله، بذكر لمحات من حياته المشرقة وسيرته المباركة، حتى يكون ذلك "إرشاداً" للسائر نحو رياض معرفته. . بإذن الله.

وإنني إذ أشرف مدادي بذلك، أرجو من المولى أن ينفعني به يوم (ينظر المرء ما قدمت يداه)، ويوم يؤتى (كل أناس بإمامهم)، راجياً من الله شفاعته وليه الجواد عليه السلام، إنه جواد كريم.

حسين هادي المدرسي

دمشق - ١٤٢٠ هـ

^١ - غوالي الآلي ج ٤ ص ٥٨.

« ١ »

النسب الشريف

لا عجب في أن يكون نسبه خير نسب، وسلالته أشرف سلالة.
فالمصطفى هو الله، والمصطفون صنائعه..

النسب أشهر- في فضله ورفعة شأنه- من نار على نار. فهو
بن أبي الحسن عليّ الرضا، بن أبي إبراهيم موسى الكاظم، بن أبي عبد
الله جعفر الصادق، بن أبي جعفر محمد الباقر، بن أبي محمد عليّ
السجاد، بن أبي عبد الله الحسين الشهيد، بن أبي الحسن عليّ أمير
المؤمنين؛ وابن سيدة النساء فاطمة، بنت رسول الله محمد. عليهم أفضل
صلوات الله وأشرف تحياته وأزكى سلامه.

ثمّ والد أمير المؤمنين -أبو طلب-، ووالد رسول الله -عبد الله-،
ابنا هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب،
بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر-وهو قريش-، بن
كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن طابخة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار،
بن معد، بن عدنان.^١

^١ - البحار ج ١٥ ص ١٠٧، قال فيه: «نسب رسول الله ﷺ إلى آدم هكذا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم..»، (وراجع إعلام الوري الطبرسي ص ٥، قال: وذكر الشيخ أبو جعفر بن بابوي رضوان الله عليه: عدنان بن..) إلى هاهنا متفق عليه من نسب رسول الله ﷺ، أما ما فوقه ففيه اختلاف كثير، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «إذا بلغ نسبي إلى عدنان

هذا النسب المهدب الطاهر، وهذه السلالة المصفاة، إن هي إلا
تلكم الشجرة المباركة في القرآن، حيث معين عطائها لم ينضب، وشلال
أنوارها لم يزل، لترشّ النور من مناهلها كل حين بإذن ربّها..
القلم يعجز من الإحاطة بفضائل أفرادها، حتى وإن أصبحت
البحار مدادا. لأتّهم كلمات الله التامات.. فلنقد البحر قبل أن تنفد
فضائل كلمات ربّي.

أمّا الإمام الرضا-أبو الإمام الجواد-عليه السلام، ففي حياته المباركة بدأت
مرحلة جديدة للشيعة، لأتّهم انتقلوا من السرّ إلى العلن، ومن الكتمان
إلى الظهور. فاستقرّ بهم النوى بعد أن ضاقت عليهم الأرض..

وقد كان عليه السلام مرضياً لدى جميع الناس، صغاراً وكباراً، شيباً
وشباناً، حكماً ومحكومين، عند المخالف والمؤلف، حتى جاء في
حديث الإمام الجواد عليه السلام، لما سأله السائل عن سبب تسمية أبيه
بـ(الرضا) من بين الأئمة؟

قال عليه السلام: «لأنّه رضي به المخالفون من أعدائه، كما رضي به الموافقون
من أوليائه. ولم يكن ذلك لأحد من آبائه، فلذلك سمّي من بينهم
(الرضا).»^١

فأمسكوا» (البحار ج ١٥ ص ١٠٥، كشف الغمّة ج ١ ص ١٥) ونحن نمسك هنا امتثالاً لأمره
عليه السلام.

^١ - علل الشرائع ج ١ ص ٢٣٦-٢٣٧ ب ١٧٢.

وقد قُتل هذا الإمام عليه السلام مظلوماً على يد (عبد الله) المأمون العباسي، الذي كان يظهر المحبة له عليه السلام، ويبطن العداء له، فقتل الإمام خوفاً على دنياه، وعلى كرسي السلطة التي نزا عليها ظلماً، وتصرف بها ظلماً، وورثها من بعده ظلماً.

وهو عليه السلام دفين طوس. فبه طابت، وبمشواه تنوّرت. وقد قال قبل شهادته: «..بورك قبر طوس». فبورك القبر، وبورك ساكنه.

و قد أورد المؤرخون أبواباً خاصة في فضل زيارته، وذلك لكثرة الأحاديث التي وردت فيه. وفيما يلي بعضها:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سَيُقْتَلُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي بِأَرْضِ خِرَاسَانَ بِالسَّمِّ ظُلْمًا، اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ ابْنِ عِمْرَانَ مُوسَى. أَلَا فَمَنْ زَارَهُ فِي غُرْبَتِهِ، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ عَدَدِ النُّجُومِ، وَقَطَرِ الْأَمْطَارِ وَوَرَقِ الْأَشْجَارِ.»^١

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «يُقْتَلُ حَفِيدِي بِأَرْضِ خِرَاسَانَ، فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: (طُوس). مَنْ زَارَهُ إِلَيْهَا، عَارِفًا بِحَقِّهِ، أَخَذَتْهُ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ.»

-يقول الراوي- قلت: جُعِلَتْ فِدَاكَ، وَ مَا عَرَفَانِ حَقَّهِ؟

قال عليه السلام: «يَعْلَمُ أَنَّهُ عليه السلام مَفْتَرِضُ الطَّاعَةِ، غَرِيبٌ شَهِيدٌ.. مَنْ زَارَهُ عَارِفًا بِحَقِّهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا أَجْرَ سَبْعِينَ شَهِيدًا مِمَّنْ اسْتَشْهَدَ بَيْنَ يَدَيِ

^١ - البحار ج ٤٩ ص ٢٨٦ .

رسول الله ﷺ على حقيقة.^١

وروى الكليني بإسناده عن (مهزيار)، قال: قلت لأبي جعفر (الجواد): جعلتُ فداك، زيارة الرضا ﷺ أفضل، أم زيارة أبي عبد الله الحسين ﷺ؟

فقال ﷺ: «زيارة أبي أفضل. وذلك لأنّ أبا عبد الله يزوره كلُّ الناس، و أبي لا يزوره إلا الخواص من الشيعة.»^٢
وعن (أحمد البنظي) قال: قرأتُ كتاب أبي الحسن الرضا ﷺ: «أبلغ شيعتي أنّ زيارتي تعدل عند الله ألف حجّة.»
قال: فقلت لأبي جعفر: ألف حجّة؟

قال ﷺ: «إي والله، ألف ألف حجّة، لمن زاره عارفاً بحقه.»^٣
وقد أورد المجلسي زيارة له ﷺ عن الإمام الجواد، وفيها ينسب إلى الإمام هذه الأبيات في حق أبيه ﷺ:

يا قبر طوسٍ سقاك الله رحمة	ماذا ضمنت من الخيرات يا طوسُ
طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها	شخص ثوى بسنا آباد مرموسُ
شخص عزيز على الإسلام مصرعه	في رحمة الله مغمور ومغموسُ
يا قبره أنتَ قبرٌ قد تضمّنه	حِلْمٌ وعِلْمٌ وتطهيرٌ وتقديسُ
فخراً بأنك مغموطٌ بجثته	وبالملائكة الأطهار محروسُ

^١ - البحار ج ١٠٢ ص ٣٥.

^٢ - الكافي ج ٤ ص ٥٨٤.

^٣ - آمالي الصدوق: ص ٦١ ح ٩، ثواب الأعمال ص ١٢٣ ح ٣.

في كلِّ عصر لنا منكم إمام هدى فربعه أهل منكم ومأنوس
 أمست نجومُ سماءِ الدينِ آفلةً وظلَّ أسدُ الثرى قد ضمَّها الخيسُ
 غابت ثمانيةً منكم وأربعة ترجى مطالعها ما حنت العيسُ
 حتَّى متى يزهر الحقُّ المنير بكم فالحقُّ في غيركم داج ومطموسُ

أمّ الإمام

أمّا والدّة الإمام الجواد عليه السلام التي سَمّاها الإمام الرضا عليه السلام بـ (خيزران): فقد كانت أمّ ولد، ومن أسمائها (سبيكة). وكانت مريسيّة^١ من مصر.

من أسمائها: (ريحانة)،^٢ و تُدعى تارة بـ (دُرّة).^٣

أخذت هذه المرأة العظيمة، بمجامع الشرف، وحازت أصلَ الفضل وفرعَه، كسائر أمّهات أوصياء الأنبياء، التي صاغهنَّ ربُّ العالمين من طينة طاهرة، واصطفاهن أوعية زاكية، لخلفاء النبيّ الخاتم من بعده.. كيف لا ورسولُ الله صلى الله عليه وآله هو القائل:

«إذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يخلقنا.. أخرجنا إلى أصلاب الآباء،

^١ - مريسة على وزن سَكينة هي قرية بمصر من ناحية الصعيد (القاموس ج ٢ ص ٢٥١).

^٢ - البحار ج ٤ ص ٣٨٠.

^٣ - البحار ج ٤ ص ٣٨٠.

وأرحام الأمّهات. ولا يصيبنا نجس الشرك، ولا سفاح الكفر»^١
وقد وصف الإمام الرضا عليه السلام هذه المرأة الجليّة بـ (الأمّ
المقدسة)، فقال عليه السلام: «قُدّست أمّ ولدته - الجواد - . قد خلقت طاهرة
مطهّرة...»^٢

وفي الكافي أنّها كانت من أفضل نساء زمانها!^٣

^١ - البحار ج ١٥ ص ٧.

^٢ - البحار ج ٥٠ ص ١٥.

^٣ - الكافي: ج ١ ص ٣٢٢ ح ١٤.

«٢»

الميلاد المبارك

كان الإمام الرضا عليه السلام قد بلغ الخامسة والأربعين من عمره الشريف من دون أن يُرزق بولد بعد..
وفي تلك الأيام، المفتن بها أهلها، استغل بعض المتزمتين الفتنة، فافتروا على الإمام عليه السلام بأنه عقيم، ليعضدوا موقفهم بالوقف على أبيه موسى بن جعفر عليه السلام.

ولكن الإمام عليه السلام كان يردّ أقاويلهم بقوله عند بعض خواصّه: «لعنهم الله ما أشدّ كذبهم. أما أنهم يزعمون أنّي عقيم، وينكرون من يلي الأمر من ولدي!».^١

ويقول عليه السلام لذلك السائل -الذي استفسره عن جواز إعطاء الزكاة للواقفية-: «لا تعطهم، فإنّهم كفّار، مشرّكون، زنادقة». ^٢
ويكتب رجل من الذين في قلوبهم زيغ، رسالة له عليه السلام يقول فيها:
كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟

فيقول الإمام عليه السلام: «وما علمك أنّه لا يكون لي ولد؟. والله لا يمضي

^١ - رجال الكشي: ص ٤٥٨، عنه البحار: ج ٤٨ ص ٢٦٥.

^٢ - الإمام الجواد من المهد إلى اللحد ص ٣١.

الأيام و الليالي، حتى يرزقني ولداً ذكراً، يفرّق به بين الحق و الباطل.»^١
و يتقدّم آخر، ويسأل: مَنْ الإمام بعدك؟

يقول ﷺ: «ابني.»

فيقول الرجل: هل يجترئ أحدٌ أن يقول: ابني، وليس له ولد؟^٢
وعن (عبد الرحمن بن أبي نجران)، و(صفوان بن يحيى)، قالوا:
حدّثنا (الحسين بن قياما)، -وكان من رؤساء الواقفة-، فسألنا أن
نستأذن له على الرضا ﷺ، ففعلنا.

فلما صار بين يدي الإمام، قال له: أنت إمام؟

قال ﷺ: «نعم»

قال: إني أشهد الله أنك لست بإمام!

قال-الراويان-: فنكت ﷺ في الأرض طويلاً منكّس الرأس. ثم رفع ﷺ
رأسه إليه، فقال له: «ما علمك أنني لست بإمام؟»

قال-الواقفي-: إنا قد روينا عن أبي عبد الله ﷺ: «إنّ الإمام لا يكون

^١ - البحار ج ٥٠ ص ٢٢ . وكان الإمام الصادق قد عبّر عن مذهب الواقفة بأنها فتنة شيطانية، وأنّ متحليه هم شرار الخلق، كما جاء في كتاب (رجال الكشي) بسنده عن (الحكم بن عيص)، قال: دخلتُ مع خالي سليمان -على الإمام الصادق- فقال-الإمام-: «مَنْ هذا الغلام؟» فقال: ابن أخي. فقال-الإمام-: «يعرف هذا الأمر-أي التشيع-؟» فقال: نعم. فقال-الإمام-: «الحمد لله الذي لم يخلقه شيطاناً» ثم قال: «يا سليمان تعوّد بالله ولدك من فتنة شيعتنا!» قلت: جعلتُ فداك، وما تلك الفتنة؟ قال-الإمام-: «إنكارهم الأئمة، ووقوفهم على ابني موسى، ينكرون موته، ويزعمون أن لا إمام بعده، أولئك شرّ الخلق.»

^٢ - المصدر ج ٥٠ ص ٢٠.

عقيماً»، وأنت قد بلغت السنّ، وليس لك ولد.

فنكس الإمام (عليه السلام) رأسه أطول من المرّة الأولى. ثم رفع رأسه، فقال: «إني أشهد الله أنّه لا تمضي الأيام والليالي، حتّى يرزقني الله ولداً منّي.» قال (عبد الحمّن): فعددتنا الشهور من الوقت الذي قال، فوهب الله له أبا جعفر (عليه السلام) في أقلّ من سنة.^١

وغدا الشيعة المخلصون منتظرين أشدّ الانتظار مقدّم إمامهم.. فلم تمض الأيام، حتّى وصل اليوم الموعود..

كان يوم الجمعة، العاشر من شهر رجب المبارك، من عام ١٩٥ بعد الهجرة، حيث بزغ من أفق الحقّ نور، لتشرق الأرض بمولد حجّة الله وولّيه: الجواد (عليه السلام)، فيستبشر به أبوه الرضا (عليه السلام) قائلاً: «إنّ الله قد وهبَ لي من يرثني، ويرث آل داود.»^٢ وكان يشترّ الناس به، فيقول: «قد وُلد لي شبيه موسى بن عمران فائق البحار، وشبيه عيسى بن مريم..»^٣

وإليك تفاصيل ولادته (عليه السلام):

(لما قربت من خيزران الولادة، أمر أبو الحسن (عليه السلام) أخته حكيمة بأن تحضر ولادتها، وتدخل هي والقابلة البيت على الخيزران. وقد وُضع فيه المصباح.

^١ - البحار ج ٤٩ ص ٣٤ ح ١٣.

^٢ - بصائر الدراجات ج ٣ ص ١٣٨.

^٣ - مدينة المعاجز ج ٧ ص ٣٩٩-٤٠٠.

فلما أخذها الطلق، أطفأ المصباح، فلم يبصرا أمّ الجواد عليها السلام، ولم يعرفا ما صنع بها! فقلقت حكيمة لذلك، واعترتها الدهشة فيما فاجأها.

وبينما هي على هذا، وإذا بالنور يسطع إلى عنان السماء، وقد عمّ البيت بأجمعه! وأبو جعفر الجواد عليه السلام في الطشت، وعليه شيء رقيق كهيئة الثوب، شاخصاً ببصره نحو السماء، ومنادي يناديه من بطنان العرش: «اثبت أنت صفوتي من خلقي، وموضع سرّي، وعيبة علمي، وأميني على وحيي، وخليفتي في أرضي. لك ولمن تولّاك أوجبت رحمتي، ومنحت جناني، وحللت جوارِي. وعزّي وجلالي لأصلين من عبادك أشدّ عذابي، وإن وسعت عليهم من سعة رزقي.» فإذا انقطع صوت المنادي. فأجابه الإمام عليه السلام، وهو واضع يده على رأسه: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)^١

وفي رواية: قالت حكيمة: فلما ولدته، قال: «أشهد أن لا إله إلا الله.» فلما كان اليوم الثالث، عطس، فقال: «الحمد لله، وصلى الله على محمد وعلى الأئمة الراشدين.»^٢

كان ميلاداً مباركاً سعيداً. لأنه أصبح سبباً لاتحاد الشيعة،

^١ - آل عمران ١٨١.

^٢ - البحار ج ٧ ص ١٩١.

^٣ - دلائل الإمامة: ٣٨٣ ح ٣٤١.

ولانتصار الحق، فبالحق أنزله الله من حول عرشه،^١ وبالحق نزل.
وبالخصوص أن الواقفة كانت قد قويت شوكتهم آنذاك، حتى تاه
الكثير من المتزعزعين، وغيرهم من الشاكة قلوبهم. ولكن تم كبح جماح
الضلال بعد ذلك المولود المبارك.
فحمدت الشيعة ربها، وسبحت ذاته المقدسة، لما رأت من صدق
الوعد، بعدما ذقت مرارة الصبر والتسليم.

^١ - راجع البحار ج ٧ ص ٢٠٣، أيضا: البحار ج ٣٦ ص ٣٤١ ح ٢٠٦.

«٣»

عهد الصبي

ورد في الحديث عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إِنَّ الصَّبِيَّانَ قَالُوا لِيَحْيَى (بن زكريّا): اذهب بنا نلعب. قال: «ما للعب خُلِقْنَا.» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَأَتَيْنَاهُ الْحَكَمَ صَبِيًّا).»^١

ونظير الموقف هذا، جرى بين الإمام الجواد عليه السلام وبين أحد الأصحاب، عندما كان الإمام عليه السلام لا يزال حديثاً في سنّه. فقد جاء هذا الرجل وهو يحمل معه شيئاً مما يلعب به الأطفال.. يقول:
لما جئته عليه السلام ووقفتُ أمامه مسلّماً، لم يأذن عليه السلام لي بالجلوس! فرميتُ بما كان معي بين يديه، فغضب عليّ، وقال عليه السلام: «ما لهذا خُلِقْنَا.»

و في نسخة أخرى: «..ما لهذا خَلَقَنِي اللَّهُ، ما أنا واللعب؟»^٢
الإمام الجواد عليه السلام، مع أنّه كان صغيراً في سنّه وخَلَقَهُ، ولكنّه كان عظيماً في معرفته وخَلَقَهُ. والحديث التالي خير شاهد:
عن (محمّد المحمّدوي)، عن أبيه، إنّ حاضنة أبي جعفر عليه السلام قالت

^١ - البحار ج ٥٠ ص ٥٩.

^٢ - البحار ج ٥٠ ص ٥٩، دلائل الإمامة ص ٢١٣.

هل أراك مفكراً، كأنتك شيخ؟!

لها: «إن عيسى بن مريم كان يمرض وهو صبي، فيصف
الجه به، فإذا تناوله بكى.

فقلت: يا بني، إنما أعالجك بما علمتني!

فيقول لها: الحكم حكم النبوة، والخلقة خلقة الصبيان.

نعم، إن الله أتى الإمام الجواد رُشد عقله، قبل رُشد عظامه.
ورُشد فهمه، قبل تجاوزه عهد صباه.. فبلغ معالي العرفان، قبل أن يبلغ
أشدّه..

سأبقت معارفه طبائع الطفولة، فكان السبق للأول، ليتجاوز

إدراك الإمام، حدود الزمان والمكان، وحواجز العصور والأمصار..

صحيح أن الله ما آتاه النبوة، فقد قضى أن لا نبي بعد خاتم

النبين، ولكنه آتاه الإمامة صبيّاً، التي قضى خليل الله إبراهيم، عمراً

طويلاً عبداً.. فنبياً.. فرسولاً.. فخليلاً.. ثم صار على الكبر، -وبعد أن

وهب له من ذريته إسماعيل وإسحاق-، بعدما ابتلاه بكلمات فائمهن.. ثم

قال له: (إني جاعلك للناس إماماً)...

* * *

كانت قد عمّت بركاته ﷺ جميع محبيه، حيث روى (يحيى

الصنعاني)، قال:

كنتُ عند أبي الحسن ﷺ فجيء بابنه أبي جعفر ﷺ وهو صغير،

فقال ﷺ: «هذا المولود الذي لم يولد مولود، أعظم على شيعتنا بركة

و يقول (الصنعاني) أيضاً: دخلتُ على أبي الحسن الرضا عليه السلام وهو بمكة، وهو يقشر موزاً ويطعم أبا جعفر عليه السلام، فقلت له: جعلتُ فداك، هو المولود المبارك؟

قال عليه السلام: «نعم. يا يحيى، هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مثله مولود أعظم بركة على شيعتنا منه.» ^٢

أقول: يمكن أن يكون مراد الإمام الرضا عليه السلام من الحديثين السابقين أكثر من مطلب، ليصير ذا معنى مفهوم لمختلف الطبقات من مدارك الناس وفهمهم. فقد يسمع الحديث شخص، فيفهم شيئاً، ويسمع ذات الحديث آخر، فيفهم منه معنى أعمق مما فهمه الأول، ولعلّ كلا المعنيين من مراد الإمام، وبالخصوص أن أحاديث الأئمة - كما تشير بعضها - لها بطون، كما للقرآن بطون.

وهذا الحديث أيضاً، فقد تكون له معاني مختلفة، منها:

(١) حيث أن الإمام الجواد عليه السلام هو الإمام والخليفة لله على البرايا، وهو ممن (يؤمنهم رُزق الوري)، أو كما يقول الإمام الباقر عليه السلام: «... بهم يرزق الله عباده، وهم يعمر بلاده. وهم يتزل القطر من السماء، وهم تخرج بركات الأرض..» ^٣ وهو من لولاه، كما جت الأرض بأهلها،

^١ - البحار ج ٥٠ ص ٢٣ .

^٢ - البحار ج ٥٠ ص ٥٣ .

^٣ - البحار ج ٢٣ ص ١٩ .

وساخت بهم^٢.. فوجوده على ظهر البسيطة، إنما هو بركة عظيمة لا تُنكر، سواء لأهل زمانه، أم من تأخر عنه..

(٢) إذا كان مَنْ مات ولم يعرف أئمتّه، مات على ضلال وعمى.. فالإمام الجواد، إذ وُلِدَ، وعرفه شيعة واتبعوه، ونالوا الشرف بولايتهم إِيَّاه، وقُرَّتْ عيونهم به.. سيكون البركة العظمى لهم، حيث يُرزقون-بولايتِه-، مُلكاً لا يبلى، في جنان هم فيها خالدون..

(٣) إِنَّ النَّاسَ -كُلَّ النَّاسِ- يَسْتَحَقُّونَ بِقَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ أَنْوَاعَ الْعَذَابِ، فِي دَارِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ. ولكن، بفضل خلفاء الله -ومنهم الإمام الجواد- على بريته، ووجودهم بين أظهرهم، فإنَّ الله تعالى يرفع عن الناس العذاب إلى أجل.. وهذا ما قاله الإمام الباقر (عليه السلام) لما سأله جابر: لأيّ شيء يحتاج إلى النبي والإمام؟

فأجاب (عليه السلام): «لبقاء العالم على صلاحه. وذلك أن الله عزّ وجلّ يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبيّ أو إمام. قال الله عزّ وجلّ: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) وقال النبي (عليه السلام): «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض. فإذا ذهبت النجوم، أتى أهل السماء ما يكرهون. وإذا ذهب أهل بيتي، أتى أهل الأرض ما يكرهون».. وهم يمهّل -الله- أهل المعاصي، ولا يجعل عليهم العقوبة

^١ - الكافي ج ١ ص ١٩٦.

^٢ - الكافي ج ١ ص ١٧٩.

والعذاب..»^١

٤) قد سبق الذكر أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) في عهده كثرت الواقفية، وذلك بعدما اشتعل رأس الإمام (عليه السلام) شيباً، وبلغ في العمر مبلغاً خافوا أن يقضي نحبه من دون أن يخلف..

ولكن لما وُلد الإمام الجواد (عليه السلام)، كانت ولادته من أجلى البراهين لإمامة أبيه، كما كانت كشفاً لزيّف معتقد الواقفية الذي كاد أن ينجرّ إليه أغلب الشيعة.. ومن هنا كان (عليه السلام) بولادته بركة عظيمة على بقاء دين الله وأهله، وعلى الإسلام والمسلمين.

وهذا المعنى يظهر من وصف الإمام الرضا (عليه السلام) ابنه (المولود) فإن ذكر الوصف في الحكم، يُشعر - كما قالوا - بالعلية.

وبتعبير آخر، كأنّ الإمام (عليه السلام) قال: إن بولادة ابني.. أو: إنّ ابني، لأنّه وُلد، صار أعظم مولود بركة. فلأنّ الإمام الرضا (عليه السلام) وصف الإمام الجواد (عليه السلام) بالمولود، فإن في وصفه بذلك إشعار بأن الولادة هي السبب في كونه البركة العظيمة.

ولماذا صارت ولادته بركة؟ لأنّه - كما أسلفنا - جعل سموم الواقفية تُنثر أدراج الرياح، لتخرس شقاشق شياطينهم، ويسفر الحق عن محضه..

وبهذا التوجيه والذي سيليّه، يكون الحديثان مختصين بالإمام

^١ - البحار ج ٢٣ ص ١٩.

الجواد عليه السلام دون سائر الأئمة.

هـ) يمكن أن يكون كلّ من الحديثين إشارة إلى ما حدث من الاحتجاج بين الإمام الجواد عليه السلام وبين يحيى ابن أكثم، وانتصار الإمام عليه.

فإنّه لم يُعهد في التاريخ أن صبيّاً عمره يقلّ سنّه على العشرة، يدخل سوح الاحتجاج مع أكبر شخصيّة علميّة في الدولة، وقاضي القضاة، فيتغلّب الصبيّ عليه بحيث يتلجّج في الكلام، ويظهر عجزه!. ومن الواضح أن هذا الانتصار كانت له بركات عظيمة في رفع معنويّات الشيعة في كلّ مكان، ورفع رؤوسهم افتخاراً بهذا الشرف والموقّية التي تجلّت فيها نبذة من عظمة إمامهم الجواد عليه السلام..

وهذه المعاني الظاهرة، ويمكن أن يكون مراد الإمام الرضا عليه السلام من حديثه أعمق وأغور من ذلك، والله العالم.

* * *

كان الإمام الجواد عليه السلام شديد السُمرّة، لذلك أثار شكوك المرتابين -من الذين أثّرت فيهم شبهة غيبة الإمام موسى الكاظم، وأن لا إمام بعده وهو الإمام القائم^١-، فعرضوه على (القافة)^٢.

ولما نظر القافة إليه، خرّوا لوجوههم سجّداً! ثم قاموا فقالوا:
يا ويحكم، أمثل هذا الكوكب الدّريّ، والنور الزاهر تعرضون على

^١ - وهم المعروفون بالواقفة.

^٢ - جمع قائف، وهو الذي يعرف النسب بفراسته.

مثلنا؟! هذا والله الحسب الزكيّ، والنسب المهذب الطاهر، ولدته النجوم
الزواهر، والأرحام الطواهر. والله ما هو إلا من ذرية النبي ﷺ وأمير
المؤمنين ﷺ^١.

* * *

وكان إمامنا الرضا ﷺ محباً لولده الجواد ﷺ ومحترماً له بالغ
الاحترام، فكان ﷺ لا يذكره باسمه، وإنما يكنّيه. أو يقول: «ابني» أو
عندما يريد نداءه، يقول له تارة: «فداك أبوك»^٢ وأخرى «بنفسي
أنت»^٣.. كل ذلك احتراماً له وإجلالاً.

وهذا محمد بن عباد كان كاتباً للإمام الرضا في خراسان، يقول:
لم أسمع الرضا ﷺ يذكر ابنه محمداً ﷺ إلا بكنيته، فيقول: «كتب إليّ أبو
جعفر» و«كتبْتُ إلى أبي جعفر»^٤.

* * *

وصلت رُسل المأمون إلى الإمام الرضا ﷺ بأن يخرج من المدينة
إلى (مرو) بأرض خراسان، ليرشد الناس ويأمّهم. وإن لم يكن ذلك هو
قرار المأمون الواقعيّ، بل ليغلب على عقول الناس أمره..

^١ - وأضاف عليه المجلسي: وهو ﷺ في ذلك الوقت ابن خمس وعشرين شهراً (البحار ج ٥، ص ٩).

^٢ - البحار ج ٥، ص ٥٩ ح ٣٤.

^٣ - المصدر السابق.

^٤ - عيون الأخبار للصدوق ص ٣٥١.

ولكنّ دهائه لم يسبق علم الإمامة.. الإمام الرضا عليه السلام غير جاهل
عمّا يريد الرجل صنعه، وإنّ مكيدته غير خافية عليه عليه السلام، فالإمام أعلم
من أن تتلاعب به الأهواء..

ولذلك رفض عليه السلام في البداية أن يعيّن وليّاً للعهد. ولكنّ لما رأى
المأمون موقف الإمام، وأنّ خطّته باءت بالفشل، أجبره على قبولها،
وعلى إقامته في (مرو) وإلا.. قُتله!

فاستعدّ الإمام للرحيل، وسار إلى خراسان جبراً وقهراً، من قبل
تلك السلطة الظالمة. لكنّه عليه السلام كان يعلم أنّ ما يجري إنّما هو بعين الله،
وأنّ الأمور مقدّرة في لوح محفوظ عند ملك مقتدر.. لذا غدا صابراً
صامداً صمود الشّم الشوامخ والصّم الرواسخ. قد رسخ الصبر في إيمانه،
رسوخ التودد في الأرض، لا يزداد تلقياً للهجمات، إلا ليزداد صلابة
وتمسكاً بمبدئه وعقيدته، وليرتفع شموخاً وإجلالاً أمام كلّ ما يمتّ إلى
زبارج الدنيا وزخارفها بصلة.

فسار عليه السلام من المدينة مودّعاً آلّه، آخر وداع...

وخلف الإمام عليه السلام لشيّعه في طيبة: ابنه الإمام الجواد عليه السلام. وذلك
لأنّه لم يكن من هو مثله عليه السلام فيها، بل حتى في سائر البلاد، من يضاهيه
في إدراكه وفهمه ومعرفته، أو يوازيه في أخلاقه وفكره وعطائه. فهو
أعلم وأفهم وأعرف أهل زمانه بعد أبيه. ولما كانت لديه من الكفاءة
الموهوبة-وهو لا يزال في الخامسة من العمر-..

وبينما الإمام الرضا وليّ العهد في خراسان، كان الإمام الجواد عليه السلام

يدير الأمور في المدينة، ويؤدّي دوره في أداء الرسالة.

فبين حين وآخر يرسل عليه السلام الرسائل إلى والده عليه السلام، و تأتيه من والده إليه جواباً وابتداءً، فيما يرتبط بالأمور الخاصة والعامة في يثرب.

يقول (محمد بن عيسى) راوياً مضامين إحدى مرسلات الإمام الرضا عليه السلام: كنتُ في ديوان (أبي عباد)، فرأيت كتاباً يُنسخ.

فسألتُ عنه، فقالوا: كتاب الرضا عليه السلام إلى ابنه من خراسان.

فسألتهم أن يدفعوه إليّ، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أبقاك الله طويلاً، وأعاذك من عدوك. يا ولد، فداك أبوك، قد فسرت لك ما لي وأنا حيّ سوي، رجاء أن ينميك الله بالصلة لقرابتك، ولموالي موسى وجعفر رضي الله عنهما.. قال الله: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيراً) وقال: (لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) وقد أوسع الله عليك كثيراً، يا بُنَيَّ، فداك أبوك، لا تستر دوني الأمور لحبّها، فتخطئ حُضَّكَ، والسلام.»^١

و كان الإمام الجواد عليه السلام كان إذا وصل إليه كتاب من أبيه، يأخذه ويقرأه ويضعه على عينيه، ثم ييكّي حتى تسيل دموعه على خدّيه، وهو يقول: «خطّ أبي والله، خطّ أبي والله.»^٢

^١ - البحار ج ٥٠ ص ١٠٤.

^٢ - راجع: الإمام الجواد من المهد إلى اللحد ص ٩٧.

وحانت الساعة ليلقى الحبيبُ حبيبَه، لتصعد روحُ الإمام عليّ بن موسى الزكيّة، إلى جنان ربّها راضية مرضيّة. بسبب ذلك السّم الذي دسّه المأمون إليه. لأنّ المأمون ما وضع ولاية العهد في عنق الإمام إلا ليستتبّ له الأمر ولتقوى شوكة مملكته. فعندما هدأت معمة معارضيه وقوي سلطانه، احتال على قتل وليّ عهده!.. ولكنّ الرضا مضى راضياً بقضاء الله، وترك كلّ ما في الوجود طراً لله، إلى الله، ومن أجل الله وحده..

كان يوم ١٧ من شهر صفر من عام ٢٠٣.. الإمام الجواد عليه السلام لم يكن عند أبيه، وإنّما في المدينة، مع حضور أهل بيته وبعض أصحابه.. وإذا به عليه السلام قد تغيّر حاله وجعل يبكي!، فدعى جارية له، فقال: «قولي لهم يتأهبون [يتهيئون] للمأتم.»

فلما كان في الغد، فعل الإمام عليه السلام مثل ذلك.

فقالوا: مأتم من يا بن رسول الله؟

قال عليه السلام: «مأتم خير من صلى على الأرض. مأتم أبي الحسن

الرضا عليه السلام.» «فقد استشهد الساعة في خراسان.»

فقال أحد الأصحاب: بأبي أنت وأمي، خراسان تبعد عن المدينة

آلاف الأميال، وتفصل بينها سهول وجبال!.

فقال عليه السلام: «نعم، دخلني ذلٌّ من الله عزّ وجل، لم أكن أعرفه،

فعرفت أنّ أبي قد توفي.»

فقالوا: أتانا خبر أبي الحسن عليه السلام بعد ذلك بأيام، فإذا هو قد مات في ذلك اليوم.^١

وقرب الله للإمام الجواد ما بُعد عن غيره، وانطوت له الأرض من المدينة إلى خراسان حيث مقتل أبيه عليه السلام. فحضره ليغسله ويكفنه ويدفنه بتلك البقعة الطاهرة.. ولما سأله الهروي عن كيفية دخوله الدار والباب مغلق، قال عليه السلام: «الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت، هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق.»^٢

وهكذا تسلم الإمام الجواد مواريث آبائه، وقام مقامهم ليتحمل عليه السلام عبئ الإمامة، فيصير سيّدا للكائنات، وخليفة من الخالق إلى كل مخلوق، وهو لم يتجاوز السابعة من عمره الشريف.^٣

* * *

انقدحت في نفوس أناس شبه، كانت -بالنسبة إليهم- غاوية.. وكان من بين تلك الشبه:

كيف يمكن للإمام عليه السلام أن تطوى له الأرض، بينما سائر الخلق عجزوا عن فعل ذلك؟
ومنها أيضاً: كيف يكون الجواد عليه السلام إماماً، وهو صبي ما بلغ أشده واستوى بعد؟..

^١ - عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٦٧ ح ١. وفي البحار ج ٤٩ ص ٣١٠ بنفس المضمون.

^٢ - البحار ج ٤٩ ص ٣٠٠.

^٣ - قال المجلسي في البحار (ج ٥٠ ص ٧): أقام عليه السلام مع أبيه سبع سنين، وأربعة أشهر وبومين.

والجواب- بإيجاز-: لو أنَّ الناس عجزوا عن طيِّ تلك المسافة، فإنَّ الله لا يعجزه شيء لا في الأرض ولا في السماء، وهو الذي صيِّر وليه الجواد (عليه السلام) حاكماً على الأرض والسماء، إماماً لمن فيهما. وإن معجزته (عليه السلام) لم تكن خارقة للسنن الربانيَّة ولا خارجة عنها.. وإنما بإذن الله وإرادته فعل الإمام ما فعل..

ثمَّ إنَّ مسألة طيِّ الأرض للإمام (عليه السلام)، ما اختصَّ بالاعتقاد بها الشيعةُ فقط، بل حتى بعض علماء أهل السنَّة، تلقوها بالقبول والتسليم، أمثال الشيخ محمود الشينخاني الشافعي، الذي يقول في كتابه (مناقب آل النبي) في حقِّ الإمام الجواد: (كان يطوى له الأرض، فيصلي في يوم واحد بمكة والمدينة والشام والعراق).^١

و يحدِّثنا القرآن عن وصيِّ سليمان، لما طويت الأرض له، ليأتيه بعرش بلقيس، أنَّه لم يك فيه أيَّ إشكال ما دام أنَّه بإذن الله..

فهل في انطوائها للإمام أبي جعفر- الذي هو من أوصياء خاتم الرسل وسيدِّ أولي العزم-، هل فيها ثمة خروج عن سنَّة الله وإرادته؟ أم أنَّ الله ما أذن له- وحاشا له العصيان-؟..

ولكنَّ الحقَّ أنَّه لا ذا ولا ذاك. فالإمام هو عبد الله ووليِّه، لا يعصيه طرفة عين، فيأتمر بأوامره، وينتهي إذا نهاه...

وأما كيف يكون (عليه السلام) إماماً وهو صغير؟، فليس ذلك عند الله

^١ - الصراط السوي في مناقب آل النبي ص ٤٠٤ مخطوط.

بعجيب، إذ أنّ الإمام الجواد عليه السلام ليس الفرد الوحيد الذي أوتي الحكم من الصبي!. فقد سبقه عيسى بن مريم، حينما تكلم وهو في المهد، فكان نبياً وحجة على من سمع كلامه.

وأيضاً كان يحيى بن زكريّا نبياً وهو لم يبلغ الحلم: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة، وآتيناه الحكم صبياً)^١. وبغض النظر عن إمامة الإمام الهادي عليه السلام والإمام الحجة المنتظر عليه السلام اللذين أيضاً صاروا إمامين من قبل البلوغ. ثمّ شتان بين الإمام وبين الناس. فأننا لا نستطيع أن ننظر إلى أئمتنا كأهم مثلنا، ونقيسهم بمعايرنا ومقاييسنا، وكفى بآية التطهير تفضيلاً: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). ثم إنّ خلقهم كان من نور، وإنّ رضا الله رضاهم عليهم السلام كما في الحديث^٢، وإلى غير ذلك مما خصّ الله تعالى به إياهم..

* * *

أمّا النصوص على إمامته، فالعجب العجاب ممن ينكرها. فقد نصّ على إمامته: الله،^٣ والخضر،^٤ ورسول الله،^٥ وفاطمة الزهراء،^٦ و

^١ - مريم / ١٢.

^٢ - البحار ج ٤٤ ص ٣٦٧.

^٣ - البحار ج ٣٦ ص ١٩٣.

^٤ - إكمال الدين: ج ١، ص ١٣١، ح ١.

^٥ - البحار ج ٤٣ ص ٢٤٨، وأيضاً ج ٣٦ ص ٢٤٩، ج ٢٧ ص ١١٨.

^٦ - إكمال الدين ج ١ ص ٣٠٥.

الإمام الحسين،^١ و الإمام السجّاد،^٢ والإمام الباقر،^٣ والإمام الصادق،^٤
والإمام الكاظم،^٥ والإمام الرضا^٦.. نصّوا على إمامته وولايته ووصايته
وخلافته، في مواطن عديدة ومناسبات مختلفة ومواقع شتى..

إنّ لأجل شبه التشكيك في (صغر السن) و(انطواء الأرض بخرق
العادة) وأمثالها، كثيراً ممن مضوا، تاهوا في المهادي، وانزلقوا في مخالب
الضلال. فلما رأوا أنّ أئمتهم صغار، لم تستوعبه عقولهم فأنكروا
ولايتهم، وتوقفوا على إمامة من كان قبلهم، أو اتّموا بمن لم يشرّع به
الله ولا رسوله..

وقد حدث ذلك في عهد الإمام الجواد (عليه السلام) أيضاً. حيث توقّف
بعض الأصحاب في إمامته (عليه السلام) لما فوجئوا بصغر سنّه (عليه السلام)، إلى أن توجه
أكابرهم من العلماء والفقهاء إلى الحجّ، وتشرفوا ببلقائه (عليه السلام)، فظهر لهم
من علومه ومعجزاته وكراماته الشيء الكثير، فارتفع الشكّ عن أغلبهم.
إذن العمر ليس ميزاناً لمقاييس الله. فربّ شيخ كبير طاعن في
السنّ، لا يفقه قولاً، ولا يدرك علماً، يعيش في دهاليز الجهل والعمى،

^١ - كفاية الأثر: ٢٣٢.

^٢ - إثبات الهداة: ج ١ ص ٦٥١ ح ٨١٠.

^٣ - نور الثقلين: ج ٢ ص ٢١٥، وأيضاً في البحار ج ٣٦ ص ٣٩٠، ووسائل الشيعة ج ١٦
ص ١٧٨.

^٤ - البحار: ج ٣٦ ص ٤٠٩، وأيضاً في كفاية الأثر ص ٢٥٦.

^٥ - عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٣٢، والبحار: ج ٤٩ ص ٢١، والكاظمي: ج ١ ص ٣١٩.

^٦ - الكافي ج ١ ص ٢٨٦ ح ٣، كفاية الأثر ص ٢٧٤.

هو في واقعه من الصاغرین. ولعلّ طفلاً قدره عند الله عظیم مع الأولیاء والصدّیقین. فإنّ عظمة الإنسان بروحه ونفسه ومواهبه، لا بجسده وآیام عمره.

ودلیل آخر یعضد جواز كون الإمامة مع صغر السنّ ما جاء في الأخبار عن (علي بن أسباط)، قال:

رأيتُ أبا جعفر - الجواد - عليه السلام قد خرج عليّ. فأحدثُ النظرَ إليه و إلى رأسه و إلى رجله، لأصف قامته لأصحابنا بمصر. فخرّ عليه السلام ساجداً وقال: «إنّ الله احتجّ في الإمامة، بمثل ما احتجّ في النبوة، قال الله: (وآتيناہ الحکم صبیّاً)، وقال الله: (فلما بلغ أشدّه) وبلغ أربعين سنة. فقد یجوز أن یؤتی الحکمة وهو صبیّ، ویجوز أن یؤتی وهو ابن أربعين سنة.»^١

و یقول (الحسین بن محمد) عن (الخیرانی) عن أبيه، قال:

كنتُ واقفاً بین یدی أبي الحسن عليه السلام بخراسان فقال له قائل: یا سیدی، إن کان کون، فإلی مَنْ؟

قال عليه السلام: «إلی أبي جعفر ابني.»

فکان القائل استصغراً سنّ أبي جعفر عليه السلام، فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إنّ الله تبارک وتعالی بعث عیسی بن مریم رسولاً نبیاً صاحب شریعة مبتدأ فی أصغر من السنّ الذي فيه أبو جعفر عليه السلام.»^٢

^١ - البحار ج ٥٠ ص ٣٧.

^٢ - راجع أصول الكافي المجلد الأول.

وما أكثر النصوص التي ألقاها الإمام الرضا عليه السلام حجة على الناس، مشيراً إلى ابنه الجواد عليه السلام قبل ولادته^١ وبعدها^٢. والتي رواها لقيف من أصحابه المخلصين المستخلصين، الذين من بينهم: علي بن جعفر الصادق عليه السلام، وصفوان بن يحيى، ويحيى الصنعاني، ومعمار بن خلاد، وابن أبي نصر البزنطي، ومحمد بن سنان، والحسين بن يسار، والحسن بن جهم، وأبو يحيى الصنعاني، ويحيى بن حبيب الزيات..

ومن تلك النصوص ما قد ذكرت آنفاً، مضيفاً الأحاديث التالية:

■ عن (صفوان بن يحيى)، قال: قلت للرضا عليه السلام: كُنَّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام، فكنت تقول: «يهب الله لي غلاماً». فقد وهبه الله لك، فأقر عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون، فإلى من؟

فأشار عليه السلام بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه.

فقلت له: جعلت فداك، هذا بن ثلاث سنين؟!

قال عليه السلام: «وما يضره من ذلك، قد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن

أقل من ثلاث سنين.»^٣

^١ - البحار ج ٥٠ ص ٣٥، حلية الأبرار: ج ٤ ص ٦١١، وفي حديث أن الإمام الرضا عليه السلام سئل: أتكون الإمامة في عم أو حال؟ فقال الإمام: «لا.»، فقال الرجل: ففي أخ؟ فقال عليه السلام: «لا.» قال: ففي من؟ قال عليه السلام: «في ولدي.» وهو يومئذ لا ولد له. (راجع الكافي ج ١ ص ٢٨٦ ح ٣).

^٢ - نور الثقلين: ج ٣ ص ٣٢٣، الكافي ج ١ ص ٣٢٢، الهداية الكبرى: ص ٢٨٢، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢١ ح ١.

^٣ - حياة أولي النهى \ الإمام الجواد عليه السلام ص ٧٩

■ عن (معمّر بن خلّاد)، قال: سمعتُ الرضا عليه السلام يقول-وذكر شيئاً- فقال عليه السلام: «هذا أبو جعفر، قد أجلسته مجلسي، وصيرته مكاني.» وقال عليه السلام: «إنّا أهل بيت يتوارثون، أصاغرنا عن أكابرنا، القذة بالقذة.»^١

■ وفي (إثبات الوصية): روى جماعة من أصحاب الرضا عليه السلام قال: قال الرضا عليه السلام: «لما أردتُ الخروج من المدينة، جمعتُ عيالي، وأمرتهم أن يكونوا عليّ حتّى أسمع بكائهم. ثمّ فرقتُ فيهم اثني عشر ألف دينار، لعلّمي أنّي لا أرجع إليهم أبدا.»

قال: ثمّ أخذ [الإمام الرضا] أبا جعفر [الجواد]، فأدخله المسجد [النبويّ]، ووضع [الإمام الرضا] يده [الإمام الجواد] على حائط القبر [قبر رسول الله]، وألصقه به، واستحفظه رسول الله.

فقال [الإمام الجواد] له: «يا أبت، أنت -والله- تذهب إلى الله.» قال: ثمّ أمر أبو الحسن [الرضا] جميع وكلائه بالسمع والطاعة له [الإمام الجواد]، وترك مخالفته، ونصّ عليه عند ثقاته، وعرفهم أنّه القيم مقامه.. الخ^٢

^١ - القُذّة: ريش السهم، يقال: حذو القُذّة بالقُذّة إذا تساوى في المقدار، مثّل يضرب لشئين يستويان ولا يتفاوتان أصلاً (النهاية).

^٢ - إثبات الوصية ص ١٧٨.

أنا محمد

جاء بالإمام الجواد عليه السلام يوماً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة، وهو صغير. جاء عليه السلام المنبر، ورقى منه درجة، ثم نطق فقال:

« أنا محمد بن الرضا، أنا الجواد. أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب، أنا أعلم بسرائركم وظواهركم، وما أنتم صائرون إليه. علم منحنا به من قبل خالق الخلق أجمعين، وبعد فناء السماوات والأرضين. »
« ولولا تظاهر أهل الباطل، ودولة أهل الضلال، ووثوب أهل الشك، لقلت قولاً تعجب منه الأولون والآخرون. »

ثم وضع عليه السلام يده على فمه، وقال: « يا محمد، أصمت كما صمت آباؤك من قبل. »

وفي رواية أخرى، قال عليه السلام:

« الحمد لله الذي خلقنا من نور بيده، واصطفانا من بريته، وجعلنا أمناً على خلقه ووحيه. معاشر الناس: أنا محمد بن الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي سيد العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء، وابن محمد المصطفى، ففي مثلي يشك؟! »

« وعليّ وعلى أبويّ يفترى!.. والله إني لأعلم بهم أجمعين، وما هم إليه صائرون. أقوله حقاً، وأظهره صدقاً وعلماً، ورثنا الله قبل الخلق أجمعين. »

ثم وضع عليه السلام يده على فيه، وقال: « يا محمد أصمت كما صمت

آبَاؤُكَ (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَآءِ الْعَظَمِ مِنَ الرُّسُلِ ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، فَهَلْ
يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ).»^١

وأترك الحديث للقارئ الكريم، ليتأمل في عمق مغزاه وآفاق
دلالاته على علو منزلة الإمام عليه السلام ووسعة علمه وجلالة معرفته..

^١ - مدينة المعجز للبحراني ص ٥١٥

«٤»

كناه وألقابه

لم يكن لإمامنا الجواد عليه السلام ثمة لقب، أو كنية واحدة فحسب، بل كانت له كُنى وألقاب متعددة.

وقد بين الإمام الباقر عليه السلام حكمة ذلك حين قال: «إنا لنكنّي أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم.»^١

فكان عليه السلام يكنّي بأبي جعفر الثاني، والسبب فيه أنه تقدّم من آبائه أبو جعفر الأول: الباقر عليه السلام، فجاء باسمه وكنيته، فكنّي بـ(الثاني).

وأيضاً كنّي بـ(ابن الرضا)، حيث كان يقول بعض رواة حديثه: سمعتُ ابن الرضا أو: قال ابنُ الرضا عليه السلام.

ومشت ألقابه الكريمة، تعبّر عن محيّا الكريم وسيرته الزكيّة، فلُقّب عليه السلام بـ(التقيّ)، كما عن الصدوق: (سُمّيَ محمّد بن عليّ: بـ(التقيّ) لأنه اتقى الله عزّ وجلّ فوقاه الله شرّ المأمون لما دخل عليه بالليل سكران، فضربه بسيفه، حتى ظنّ أنه قد قتله، فوقاه الله شرّه.)^٢

وقال الإربلي: له لقبان: القانع والمرتضى.^٣

وقال الطبرسي: ولقبه: التقيّ والمنتجب والجواد والمرتضى.^١

^١ - الكافي ج ١٩ ص ٦ باب الأسماء والكنى.

^٢ - معاني الأخبار ص ٦٥ سيوافيك حديثه مفصلاً في باب معجزاته عليه السلام.

^٣ - كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٤٣.

أقول: لا ينافي قول الإربلي بأن للإمام لقبين، وبين قول الطبرسي أن له أكثر من ذلك، لأنه -أولاً-: إثبات الشيء لا ينفي ما عداه.
 وثانياً: من المحتمل أن تكون بعض ألقابه عليه السلام جعلت من قبل الناس. فكما أن الإمام الصادق عليه السلام لُقِبَ بـ(شيخ الأئمة) من قبل أصحابه، فهكذا الإمام أبو جعفر عليه السلام.
 وبالإضافة إلى أن ابن شهر آشوب أكد في المناقب كل هذه الألقاب فقال: ألقابه عليه السلام: المختار، والمرتضى، والمتوكل، والمتقي و الزكي، والتقي، والمنتجب، والقانع، والجواد، والعالم الرباني.^٢

^١ - أعلام الوري ص ٣٤٥.

^٢ - المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٧٩. وفي البحار: إن الناس كانوا يقولون فيه: أعجوبة أهل البيت، ونادرة الدهر، وبديع الزمان، وعيسى الثاني، وذو الكرامات، والمؤيد بالمعجزات، وسلالة رسول الله، مواده وإهامه من الله. صاحب الخضر، الفائق على المشائخ في الصغر، من خاتم الإمامة على كتفه، المبرز على كافة ذوي أهل الفضل، أفضل أهل الدنيا في الصبي، والكامل في السؤدد، والهدى والحكمة والعلم، هادي القضاة، سيد الهداة، نور المهتدين، سراج المتعبدين، مصباح المتجهدين. (البحار ج ٥٠، ص ١٦)

«٥»

فضائله وأخلاقياته

جود الجواد ﷺ

عندما يلقي القارئ نظرة إلى خُلُق الإمام الجواد ﷺ، فإنّه، ومن دون ريب، يرى، كما يرى لسائر الأئمة، أنّ أخلاقَ الله سبحانه قد تجلّت في أفعاله وأقواله وسلوكه..

فإنّها هي الأخلاق التي هي نتاج الإخلاص، والإخلاص زبدة العبوديّة، والعبوديّة حصيلة الإيمان..

وهي (الخُلُق العظيم) الذي كانت تسابق أولى أفرادهِ أخراها.. فتري الغيرة تسارع إلى الغلبة.. وتكرّر العفّة لتسبقها.. لكن تحول دونهما العبوديّة..

ويجيء الورع والتقوى -هما الآخران-، ليحوزا القصب، لولا الإخلاص..

إنّه الإمام الجواد، علم وحلم وسخاء و عطاء وتقوى وإباء...

وعندما نسرد (جود الجواد)، فإننا من زبد البحر نسرد، و ثمرة من (هجر) نجلب..

لأنه إن ذكر الكرم والسخاء والعطاء والزهد والإخلاص، كان ﷺ أصل كل ذلك وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه..

الإمام الجواد، اسم على مسمى، الجواد الكريم. أشبه الخلق خلقاً بأبائه الكرام..

لقد رأى موقفه الناس، ولن يطوي التاريخ عن ذلك الموقف الكشع.. حينما رأوا استقباله إياهم - في تلك الحفلة المهيبة التي أقيمت له في أيام الحج -، (وكان قد حضرها من فقهاء العراق ومصر والحجاز جمع غفير)، ليخرج ﷺ إليهم بقميصين وعمامة ونعلين فحسب! ذلك كي يعلن - لهم ولغيرهم - أن زواجه من بنت الخليفة، لن يغير من وزهده وإخلاصه شيئاً، ولن يجره إلى حطام الدنيا مهما تزينت له..

لقد كانت بين يدي الإمام ﷺ أموال جمّة، تأتيه من كل حذب وصوب، من أحماس وحقوق وهدايا، ولكنه ما كان ممن يكدّسها حباً منه لها، أو يجمعها حرصاً وطمعاً - مثل سلاطين أيامه - . فكلّما كانت تصل إليه من تلك الأموال شيئاً، يعطيها الفقراء والمساكين وأمثالهم، بل وأحياناً يعطي حتى لأعدائه!.

لأنه لم يك ممن يبيت مبطاناً وحوله بطون غرثى وأكباد حرّى،

^١ - البحار ج ٥٠ ص ٤٩.

فقد ألقى حبل الدنيا على غارها.. كما كان آباءه.^١
يقول بعض أصحابه عليه السلام:

جئتُ إلى أبي جعفر عليه السلام يوم عيد، فشكوتُ إليه ضيق المعاش.
فرفع عليه السلام المصلى، وأخذ من التراب سبيكة من ذهب، فأعطانيها.
فخرجتُ بها إلى السوق، فكانت ستة عشر مثقالاً!^٢

ويقول (منخل بن علي): لقيتُ محمد بن علي عليه السلام بس (سرّ مَنْ
رأى)، فسأله النفقة إلى بيت المقدس، فأعطاني مائة دينار. ثم قال عليه السلام
لي: «غمّض عينيك.» فغمّضتهما.

ثم قال لي: «افتح.» فإذا أنا ببيت المقدس تحت القبة!، فتحيّرتُ في
ذلك.^٣

وعن (ابن حديد) قال: خرجتُ مع جماعة حُجاجاً، ففُطع علينا
الطريق. فلما دخلتُ المدينة، لقيتُ أبا جعفر عليه السلام في بعض الطريق، فأتيته
إلى المنزل، فأخبرته بالذي أصابنا، فأمر لي بكسوة، وأعطاني دينار،
وقال عليه السلام: «فرّقها على أصحابك على قدر ما ذهب.»

قال: فقسمتها بينهم فإذا هي على قدر ما ذهب منهم، لا أقلّ و لا

^١ - وعلى رأسهم أمير المؤمنين الذي كتب هذه الكلمات إلى بن حنيف واليه على البصرة
(راجع نهج البلاغة ص ٢٧٨).

^٢ - البحار ج ٥٠ ص ٤٩.

^٣ - إثبات الهداة: ج ٣ ص ٣٤٥، ونوادر المعجزات: ص ١٨١، ح ٥.

أكثر.^١

وفي رواية أن رجلاً جاء إلى الإمام وقال: أعطني على قدر مروّتك. فقال عليه السلام: «لا يسعني.»

فقال الرجل: على قدري.

فقال عليه السلام: أمّا ذاك، فنعم. يا غلام، أعطه مائة دينار.^٢

وعن الصفدي انه : كان يبعث إلى المدينة في كل عام بأكثر من ألف ألف درهم . وقال : وكان من الموصوفين بالسخاء ولذلك لقّب بالجواد .^٣

أقول: إنّ المؤمن قد يزكيّ ويتصدّق ببعض ما يملك، راجياً بذلك وجه الله سبحانه، وجنة عدن، يطوف عليه فيها ولدان مخلّدون بأكواب وأباريق.. فيسعى بجهد، و لم ير بعد، لا جنة ولا ناراً، وإنما وكلّ أمره بالتصديق بالغيب.

أمّا الأئمة عليهم السلام، فإنّهم كانوا قد عرفوا الأمور حقّ المعرفة، فعلموا ما في الجنة من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال. واطمأنت قلوبهم بوعد الله، فزهدوا في هذه الدنيا حقّ الزهد، بعد أن اشترط الله ذلك

^١ - البحار : ج ٥٠ ص ٤١ .

^٢ - حلية الأبرار: ج ٤ ص ٥٦٣ .

^٣ - الوافي بالوفيات ج ٤ ص ١٠٥ .

عليهم،^١ وجادوا بكلّ غال ونفيس، وأقرضوا الله قرضاً حسناً ليس له مثيل. كما قال الشاعر:

بحار جودٍ فلا غاروا ولا نضبوا

بدورٍ فخرٍ فلا غابوا ولا أفلو

إن يفضّبوا صفحوا أو يوزنوا رجحوا

أو يوهبوا سمحوا أو يحكموا عدلوا^٢

والإمام الجواد عليه السلام قام بما اشترط الله عليه.. زهد بما عنده لوجه

الله لا شريك له.. وذلك عملاً بوصيّة أبيه عليه السلام، في الرّسالة التي كتبها عليه السلام

إليه وهو في خراسان:

«فأسألك بحقي عليك.. إذا ركبت، فليكن معك ذهب وفضة،

ثم لا يسألك أحدٌ إلا أعطيته. ومَن سألك من عمومته أن تبرّه، فلا

تعطه أقلّ من خمسين ديناراً والكثير إليك. ومن سألك من عمّاتك، فلا

تعطهما أقلّ من خمسة وعشرين ديناراً، والكثير إليك، إني أريد أن

يرفعك الله، فأنفق ولا تحشّ من ذي العرش افتقاراً.»^٣

^١ - كما في دعاء الندبة : «.. الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيلاً ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء..»

^٢ - المصباح للكفعمي ص ٧٣٨.

^٣ - البحار ج ٥٠ ص ١٠٢.

علم الإمام الجواد عليه السلام

إنَّ ما أوحى به الله من الكتاب، فيه من العلوم والمعارف الكثير الكثير مما يفهمه الناس، والأكثر مما لا يفهمه ولا يبلغه إلا الراسخون فيه، ممَّن امتحن الله قلوبهم. لأنَّه نور الله الذي يشعُّ من مشكاة النبوة.. إنَّه ذكر الله الذي يرتفع من أفواه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذلك الذكر، ليسبِّحوه فيها بالغدو والآصال..

وإنَّ آل رسول الله صلى الله عليه وآله، كما القرآن يشير من طرف خفيٍّ، وكما الأحاديث تشير، عرفوا ما في كتاب الله تعالى: محكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، وخاصه من عامه، وكلَّ ما أنزل الله في ذلك الثقل من معارف..

والأحاديث الواردة تبياناً لهذا الأمر كثيرة، منها:

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «تفسير القرآن على سبعة أحرف، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد، ذلك تعرفه

الأئمة.»^١

- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه.»^٢
- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره، وإنّ عندنا من حلال الله وحرامه، ما يسعنا من كتمان ما نستطيع أن نحدث به أحداً.»^٣
- وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نحن الراسخون في العلم، نحن نعلم تأويله.»^٤
- و روى العياشي عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام : قول الله عزّ وجلّ: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)؟ قال عليه السلام : «يعني تأويل القرآن كلّهُ (إلا الله والراسخون في العلم)، فرسول الله عليه السلام أفضل الراسخين، قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التّزيل والتّأويل، وما كان الله مترلاً عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّهُ، فقال الذين لا يعلمون: ما نقول إذا لم نعلم تأويله؟ فأجابه الله: (يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربّنا) والقرآن له خاصّ وعامّ وناسخ

^١ - منهج البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٣١٠.

^٢ - بصائر الدرجات: ص ٢١٦ .

^٣ - تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٤ أو أيضاً في بصائر الدرجات: ص ٢١٦.

^٤ - البحار ج ٢٣ ص ١٩٨.

ومنسوخ ومتشابه ومحكم، فالراسخون في العلم يعلمونه.»
 ■ وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «ليس يخرج شيء من عند الله عز وجل، حتى يبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله، ثم بأمر المؤمنين عليهم السلام، ثم بواحد بعد واحد، لكي لا يكون آخرنا أعلم من أولنا»^١

هذه رشفة من تلك الروايات الواردة بهذا المعنى، وكثير منها تؤكد على أنهم عليهم السلام يعلمون «ما كان وما هو كائن وما سيكون»^٢ وأنهم «يعلمون وقت وفاتهم»^٣ و«عندهم علم الملائكة»^٤ و«علم ما في الضمائر»^٥ و«علم البلايا والمنايا»^٦ وغيرها.

بالإضافة إلى أن خزائن علم الأنبياء كانت قد انتقلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وورثها أهل بيته عليهم السلام، كما جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ عندي الجفر الأبيض.» فسأله الراوي: وأي شيء فيه؟

فقال: «زبور داوود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصُحف إبراهيم،

^١ - تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٤

^٢ - البحار ج ٩٢ ص ٩٢.

^٣ - الكافي: ج ١، كتاب الحجة باب ٤٨.

^٤ - المصدر السابق.

^٥ - كثر العمال: ج ٥ / ص ٦٠٤.

^٦ - بصائر الدرجات: ج ٥ باب ١٠ ص ٢٢٩.

^٧ - المصدر السابق.

والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعَم أن فيه قرآنا. وفيه ما يحتاج
الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتّى أن فيه الجلدة، ونصف الجلدة،
وثلث الجلدة وربع الجلدة، وأرش الخدش.^١

* * *

من خصائص صفات الأئمة التي فضّلهم الله، وميّزهم بها عن
الناس، أنّهم لم يأخذوا علمهم من أيّ أحد، ولم ينتهلوها من عند أحد،
سوى جدّهم، الذي معلّمه ومؤدّبه، ومرّيّه هو عالم الغيب والشهادة.
فإنّه كما قال الإمام الجواد: «..نحن من علم الله علما، وعن الله
نخبر.»^٢

وكما قال الإمام الصادق (عليه السلام): «حديثي حديث أبي. و حديث أبي
حديث جدّي. و حديث جدّي حديث الحسين. و حديث الحسين
حديث الحسن. و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين. و حديث أمير
المؤمنين حديث رسول الله. و حديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ.»^٣
أقول: إذا كانت أسفار التاريخ ومصادرّها -سواء الشيعيّة منها
أو السنيّة، وسواء كانت قلوب كاتبها موالية للأئمة أو معادية- لم
تذكر -على الإطلاق- أنّ الأئمة، طلبوا علما من أيّ أحد، سوى من
يرجع علمهم إلى من (علّمه شديد القوى).. وإذا كان الأئمة ما هُتدوا

^١ - البحار ج ٢٦ ص ٣٧.

^٢ - البحار: ج ٥٠ ص ٨٣ ح ٧.

^٣ - الكافي ج ١ ص ٥٣.

بغيرهم، بل هم الذين هَدُوا من اهتدى إلى الحق.. أفهلاً يكون فيه إشارة
لدوي البصائر، أنهم أولى الناس برسول الله وبسنته؟ وأنهم أعلم الناس
بمصالح الناس ووضائفهم وفرائضهم؟ وبالخصوص أن علمهم - بما أنه من
الله -، لن تشوبه شائبة، فلا يغلطه جهل، ولا تخيمه غفلة، ولا يحوطه
نسيان (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع، أمّن لا يهدي إلا أن
يُهدي)

لقد كانت أحاديثهم من الله، وعلومهم من الله، ومعارفهم من
الله..

وعليه، فإن كان للنبي وصي، - وقد كان -، فهم أوصيائه المرضييون.

* * *

ثم إن أعلمية الأئمة ما خفيت على أحد، حتى أعدائهم
أدركوا ذلك واستيقنتها أنفسهم. ذلك لتكون الحجة لله عليهم أقوى
وأبلغ..

فاقوا النوابغ في العلوم جميعها حتى أقرّ بذلك الأعداء
فإن المأمون العباسي، وإن قتل ابن رسول الله.. لكنّه، هو
واللائذين به، كانوا يعرفون منزلة الإمام الجواد في العلم والمعرفة،
ويعترفون بها، على رغم عدائهم له، وبغضهم عليه.

يروى (الراوندي) أنه (لما أراد المأمون أن يزوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر، بلغ ذلك العباسيين، فغلظ عليهم واستنكروه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام من ولاية العهد، فخاضوا في ذلك وكلمه أهل بيته الأدنون، فقالوا: ننشدك الله أن لا تقيم على هذا الأمر الذي عزمته عليه من تزويج ابن الرضا، فإننا نخاف أن يخرج به عنا أمراً قد ملكنا الله عزّ وجلّ من تزويج ابن الرضا عليه السلام و يترع منا عزّاً قد ألبسناه الله. وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم. وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، فكفانا الله الهمّ من ذلك، فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن بن الرضا عليه السلام واعدل إلى من تراه من أهل بيتك أصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب، فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتهم القوم، لكانوا أولى منكم. وأمّا ما كان يفعله ما كان قبلي، فقد كان قاطعاً للرحم، و أعوذ بالله من ذلك. فوالله ما ندمتُ على ما كان منّي مع الرضا عليه السلام ولقد سألتُه أن يقوم بالأمر وانزعه من نفسي، فأبى. وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً. وأمّا أبو جعفر عليه السلام، فقد اخترته لتبريزه على أهل العلم والفضل من صغر سنّه. والأعجوبة فيه بذلك. و أنا ارجوا أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلمون أنّ ما رأيته حقّاً.

فقالوا له: إنّ هذا الفتى، وإن راقك منه هديه، فإنّه صبيّ لا

معرفة له ولا فقه. فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.
فقال لهم: ويحكم، إني أعرف بهذا الفتي منكم، وإن أهل البيت
علمهم من الله تعالى إلهامي، لم يزل آبائه أغنياء في علم الدين
والأدب عن الرعايا الناقصة في حدّ الكمال. فإن شئتم، فامتحنوا أبا
جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت لكم من حاله.

قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحاننا.
فحلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك من شيء من فقه
الشريعة. فإن أصاب في الجواب، لم يكن لنا الاعتراض في أمره،
وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه. وإن عجز عن
ذلك، فقد كفيينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة (يحيى بن أكثم)^١
على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب، ووعدوه بأموال نفيسة على
ذلك.

وسألوا المأمون أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك.
فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه. وحضر معهم (يحيى بن أكثم)
والمأمون، وأمر أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دست وتجعل فيه مسورتان.

فخرج أبو جعفر عليه السلام، فجلس بين المسورتين وجلس (يحيى بن

^١ - يحيى بن أكثم التميمي، قاضي القضاة، من علماء العامة، حرّم المتعة، وتسبب في تحريم
المأمون إياها.

أَكْثَم) بين يديه، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر
عليه السلام، فقال (يحيى بن أكثم) للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا
جعفر عليه السلام عن مسألة؟

فقال له المأمون: أستاذنه في ذلك.

فأقبل يحيى بن أكثم، فقال له: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟
فقال عليه السلام: «سَلْ إِنْ شِئْتَ»

فقال يحيى: ما تقول جُعِلْتُ فداك، في مُحَرِّم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «قتله في حِلٍّ أو حرم؟
مُحَلًّا أو محرماً؟

عالمًا كان المحرم أو جاهلاً؟

مبتدأ بالقتل أو معيداً؟

من ذوات الطير كان الصيد أو غيرها؟

من صغار الصيد أم من كبارها؟

مُصْرّاً على ما فعل أو نادماً؟

في الليل كان قتل الصيد أو في النهار؟

محرماً كان بالعمرة إذ قتله، أو بالحج؟»

فتحير (يحيى ابن أكثم)، وبان في وجهه العجز والانقطاع!

وتلجلج، حتى عرف أهل المجلس عجزه.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي.

ثم نظر إلى أهل بيته، فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟

أعلمتم أن علم أهل هذا البيت إلهامي من الله تعالى؟^١
فلما تفرق أكثر الناس، قال المأمون: يا أبا جعفر، إن رأيت أن
تعرفنا ما يجب على كل صنف من هذه الأصناف في قتل الصيد؟
فقال ﷺ:

«نعم، إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل، وكان الصيد من ذوات
الطير، من كبارها، فعليه شاة.

فإن أصابه في الحرم، فعليه الجزاء مضاعفاً.
وإن قتل فرخاً في الحل، فعليه حمل قد فطم فليس عليه القيمة
لأنه ليس في الحرم.

وإذا قتله في الحرم، فعليه الحمل وقيمة الفرخ.
وإن كان من الوحش، فعليه في حمار الوحش بقرة.
وإن كان نعامة، فعليه بدنة.

فإن لم يقدر، فإطعام ستين مسكيناً.
فإن لم يقدر، فليصم ثمانية عشر يوماً.
وإن كان بقرة فعليه بقرة.

فإن لم يقدر فليطعم ثلاثين مسكيناً.
فإن لم يقدر فليصم تسعة أيام.
وإن كان ظبياً، فعليه شاة.

^١ - تحف العقول ص ٣٣٤.

فإن لم يقدر فليطعم عشرة مساكين.

فإن لم يجد، فليصم ثلاثة أيام.

وإن أصابه في الحرم، فعليه الجزاء مضاعفاً، هدياً بالغ الكعبة حقاً واجباً أن ينجزه إن كان في حجٍّ بمنى، حيث ينحر الناس.

وإن كان في عمرة، ينجزه بمكة في فناء الكعبة، ويتصدق بمثل ثمنه حتى يكون مضاعفاً.

وكذلك، إذا أصاب أرنباً أو ثعلباً، فعليه درهم يتصدق به، ودرهم يشتري علفاً لحمام الحرام.

وفي الفرخ نصف درهم، وفي البيضة ربع درهم.

وكلما أتى به المحرم بجهالة أو خطأ فلا شيء عليه إلا الصيد فإن عليه فيه الفداء بجهالة كان أم يعلم، بخطأ كان أم بعمد، و كلما أتى به العبد فكفارته على صاحبه مثل ما يلزم صاحبه.

وكلما أتى به الصغير الذي ليس ببالغ فلا شيء عليه. فإن عاد، فهو ممن ينتقم الله منه.

وإن دلّ على الصيد وهو محرم وقتل الصيد، فعليه الفداء، والمصرّ عليه يلزمه بعد الفداء العقوبة في الآخرة،

والنادم لا شيء عليه بعد الفداء في الآخرة.

وإن أصابه ليلاً في أو كارهاً خطأ فلا شيء عليه إلا أن يتصيد.

فإن تصيد بليل أو نهار، فعليه فيه الفداء. والمحرم للحجّ ينجز بمكة.»

فأمر المأمون أن يكتب ذلك عن أبي جعفر عليه السلام. ثم التفت إلى أهل

بيته الذين أنكروا تزويجه فقال: هل فيكم من يجيب هذا الجواب؟
قالوا: لا والله ولا القاضي يا أمير المؤمنين. كنت أعلم به منّا.
فقال: ويحكم، أما علمتم أنّ أهل هذا البيت ليسوا خلقاً من هذا
الخلق؟

أما علمتم أنّ رسول الله ﷺ بايع الحسن والحسين وهما صبيان ولم
يباع غيرهما طفلين؟

أو لم تعلموا أنّ أباهم عليّاً آمن برسول الله ﷺ وهو ابن تسع سنين،
فقبل الله ورسوله إيمانه، ولم يقبل من طفل غيره، ولا دعا رسول الله ﷺ
طفلاً غيره؟

أو لم تعلموا أنّها ذرية بعضها من بعض، فجرى لآخرهم ما يجري
لأولهم؟..^١

* * *

سأل (يحيى بن أكثم) الإمام الجواد أكثر من مسألة، في مجالس
شتى. وما أراد منها إلا الإنقاص من عظمته ﷺ أمام المأمون. فكان
يرجوا لو أنّ أبا جعفر ﷺ يختار في جواب إحداها. ولكن كان رجائه
من دون جدوى، إذ أنّ الإمام ﷺ كان يجيبه بما لم يتوقع، لا هو ولا
المأمون، ولا أيّ أحد ممن كان يحضر، فأفحمه وردّ كيده إلى نحره،
(بهت الذي كفر)^٢..

^١ - أئمتنا: ج ٢ ص ١٨٢.

^٢ - البقرة ٢٥٨.

■ وكان يحاول أحياناً إخراج الإمام عليه السلام بالسؤال عن مسألة

الخلافة والخلفاء. فقد سأل ذات يوم:

ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي أن جبرائيل نزل على رسول الله عليه السلام وقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: سَلْ أبا بكر: هل هو راضٍ عني، فأني راضٍ عنه؟

فقال الإمام الجواد عليه السلام: «.. يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله عليه السلام في حجة الوداع: «قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر. فمن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله وسنّي، فما وافق كتاب الله وسنّي فخذوا به. وما خالف كتاب الله وسنّي فلا تأخذوا به»، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)^١ فالله عز وجلّ خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه، حتّى سأل عن مكنون سرّه؟! هذا مستحيل في العقول.»

ثم قال يحيى ابن أكثم: وقد روي أن مثّل أبي بكر وعمر في الأرض، كمثّل جبرائيل وميكائيل في السماء.

فقال عليه السلام: «وهذا أيضاً يجب أن يُنظر فيه، لأنّ جبرائيل وميكائيل ملكان لله مقرّبان لم يعصيا الله قطّ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما

^١ - سورة ق/ ١٦

قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك، وكان أكثر أيامهما في الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما.»

قال يحيى: وقد روي أنّهما سيّدا كهول أهل الجنة.

فقال عليه السلام: «وهذا محال أيضاً، لأنّ أهل الجنة كلّهم شباب، ولا

يكون فيهم كهول، وهذا الخبر وضعه بنوا أميّة لمضادة الخبر الذي قال فيه

رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام بأنّهما سيّد شباب أهل الجنة.»

قال يحيى: وروي أنّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة.

فقال عليه السلام: «هذا أيضاً محال، لأنّ في الجنة ملائكة الله المقربين،

وآدم ومحمّداً وجميع الأنبياء والمرسلين لا تضيء بأنواره حتى تضيء بنور

عمر؟!»

قال يحيى: وروي أنّ السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال عليه السلام: «..إنّ أبا بكر أفضل من عمر، وقد قال على رأس

المنبر: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسددوني.»

فقال يحيى: قد روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: لو لم أبعث لبعث عمر.

فقال عليه السلام: «كتاب الله أصدق من هذا الحديث يقول الله في

كتابه: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ)^١ فقد أخذ الله

ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يستبدل ميثاقه، وكان الأنبياء لم يشركوا

طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك بالله، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

^١ - الأحزاب/٧

تُبْتُ و آدم بين الروح والجسد»

قال يحيى: وقد روي أن النبي ﷺ قال: ما احتبس الوحي عني قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب.

فقال ﷺ: «وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز أن يشك النبي في نبوته، قال الله تعالى: (يصطفي من الملائكة رُسُلاً ومن الناس) ^١ فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله إلى من أشرك به؟!»

قال يحيى: روي أن النبي ﷺ قال: لو نزل العذاب، لما نجي منه إلا عمر. فقال ﷺ: «وهذا محال أيضاً، إن الله تعالى يقول: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ^٢ فأخير سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله ﷺ، وما داموا يستغفرون الله تعالى. ^٣»

* * *

عن (علي بن إبراهيم)، عن أبيه قال: استأذن علي أبي جعفر ﷺ قوم من أهل النواحي من الشيعة، فأذن لهم. فدخلوا، فسألوه ﷺ في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة، فأجاب! وله ﷺ عشرة سنين. ^٤

هم أبحر العلم التي ما شافها
كدر و مجراها من الرحمن

^١ - الحج/٧٥

^٢ - الأنفال/٣٣

^٣ - البحر ج ٥٠ ص ٨٠.

^٤ - الكافي ج ١ ص ٤٩٦ ح ٧، والبحار ج ٦٠ ص ٩٣ ح ٦.

فضلٌ أقرَّ به الحسود وسودد صدعت به آي من القرآن^١

* * *

اشتبكت الأمور بعد مقتل الإمام الرضا عليه السلام. ولكن الإمام الجواد عليه السلام، استطاع أن يخمد فورة الفتنة، ويهدي الضالين إلى الرشد ببركة علمه المبارك. وإليك الشاهد من البحار:

(لَمَّا قُبِضَ الرِّضَا عليه السلام، كَانَ سَنُ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام نَحْوَ سَبْعِ سِنِينَ، فَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ مِنَ النَّاسِ بِبَغْدَادَ وَفِي الْأَمْصَارِ. وَاجْتَمَعَ (الرَّيَّانُ بْنُ الصَّلْتِ)، وَ(صَفْوَانُ بْنُ يَحْيَى)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ حَكِيمٍ)، وَ(عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَجَّاجِ)، وَ(يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، وَجَمَاعَةٌ مِنْ وَجُوهِ الشَّيْعَةِ وَثِقَاتِهِمْ فِي دَارِ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ) فِي (بِرْكَةِ زُلُولٍ) يَبْكُونَ وَيَتَوَجَّعُونَ مِنَ الْمَصِيبَةِ. فَقَالَ لَهُمْ (يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ): دَعُوا الْبُكَاءَ. مَنْ لِهَذَا الْأَمْرِ - أَيِ الْإِمَامَةِ -؟ وَإِلَى مَنْ نَقْصِدُ بِالْمَسَائِلِ إِلَى أَنْ يَكْبُرَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام -؟

فَقَامَ إِلَيْهِ (الرَّيَّانُ بْنُ الصَّلْتِ)، وَوَضَعَ يَدَهُ فِي حَلْقِهِ، وَلَمْ يَزَلْ يَلْطَمُهُ، وَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ تُظْهِرُ الْإِيمَانَ لَنَا، وَتُبْطِنُ الشُّكَّ وَالشَّرْكَ! إِنْ كَانَ أَمْرُهُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَلَوْ أَنَّهُ كَانَ ابْنِ يَوْمٍ وَاحِدٍ لَكَانَ بِمِثْلَةِ الشَّيْخِ الْعَالِمِ وَفَوْقَهُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، فَلَوْ عَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، هَذَا مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَفَكَّرَ فِيهِ.

^١ - المجالس السنية ج ٢ ص ٤٤٨

فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه، وكان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً. فخرجوا إلى الحج وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام فلما وافوا، أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنها كانت فارغة، ودخلوها وجلسوا على بساط كبير، وخرج إليهم (عبد الله بن موسى) فجلس في صدر المجلس وقام منسداً وقال: هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن أراد السؤال فليسأله.

فسئل عن أشياء، أجاب عنها بغير الواجب. فورد على الشيعة ما حيرهم وغمهم، واضطربت الفقهاء، وقاموا وهموا بالانصراف، وقالوا في أنفسهم: لو كان أبو جعفر عليه السلام يكمل (يصلح) لجواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان، ومن الجواب بغير الواجب.

ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق، وقال: هذا أبو جعفر عليه السلام.

فقاموا إليه بأجمعهم، واستقبلوه وسلّموا عليه، فدخل صلوات الله عليه، وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين، وفي رجله نعلان. وجلس، وأمسك الناس كلهم. فقام صاحب المسألة فسأله عن مسأله، فأجاب عنها بالحق. ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له: إن عمك عبد الله أفق بكيت وكيت.

فقال عليه السلام: «لا إله إلا الله، يا عم، إنه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك: لم تفتي عبادي بما لم تعلم، وفي الأمة من هو أعلم

منك.»^١

* * *

وقال يوماً (فرجُ الرُّحَجي) ^٢ للإمام الجواد عليه السلام مستهزئاً: إنَّ شيعتك تدَّعي أنَّك تعلم كلَّ ماءٍ في دجلة و وزنه. - وكانا في ذلك الوقت واقفين على شاطئ دجلة -.

فقال الإمام عليه السلام: «أَيَقْدِرُ اللهُ تعالى أن يفوّضَ علمَ ذلك إلى بعوضة من خلقه أم لا؟»

قال الرجل: نعم يقدر.

فقال الإمام عليه السلام: «أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه.»^٣

* * *

يقول (أبو الصلت الهروي): حضرتُ مجلس الإمام محمد بن علي بن موسى الرضا، وعنده جماعة من الشيعة وغيرهم. فقام إليه عليه السلام رجل، وقال يا سيدي، جُعِلْتُ فداك. فقال عليه السلام: «لا يقصّران. اجلس.»

ثم قام إليه آخر، وقال: يا مولاي، جُعِلْتُ فداك.

^١ - البحار ج ٥٠ ص ١٠٠.

^٢ - في نسخة: عمر بن فرج الرُّحَجي، والي مكة والمدينة، اشتهر بالنصب والبغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام. (قادتنا ج ٧ ص ٣٤)

^٣ - البحار ج ٥٠ ص ١٠٠.

فقال عليه السلام: «إِنْ لم تجد أحداً، فأرم بها في الماء، فإنّها تصل إليه.»
قال-أبو الصلت-: فجلس الرجل. فلمّا انصرف مَنْ كان في المجلس،
قلتُ له عليه السلام: جُعِلَتْ فداك يا سيّدي، رأيت عجباً!!
قال عليه السلام: «نعم، تسألني عن الرجلين؟»
قلت: نعم يا سيّدي!
فقال عليه السلام: «أمّا الأوّل، فإنّه قام يسألني عن الملاح، يقصّر في
السفينة؟، فقلتُ: لا، لأنّ السفينة بترلة بيته، ليس بخارج منها.»
«وأمّا الآخر، فإنّه قام يسألني عن الزكاة، إن لم يجد أحداً مِنْ
شيعتنا، فإلى مَنْ يدفعها؟ قلتُ له: إن لم تجد أحداً من الشيعة، فأرم بها
في الماء، فإنّها تصل إلى أهلها.»^١

* * *

في التوحيد

هنالك بعض الأحاديث وردت عن الإمام الجواد عليه السلام حول قضايا
التوحيد وما ينبغي أو يجوز للربّ أن يقال أو لا يقال. وكان من بينها:
■ عن (الحسين ابن سعيد) قال: سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام: يقال
للّه: شيء؟

فقال عليه السلام: «نسمع، يخرجّه من الحدّين: حة التعطيل وحادّ

^١ - مستدرك الوسائل: ج ٦ ص ٥٣٥ ح ٧٤٤٦.

،التشبيه..»^١

■ وسأل (أبو هاشم الجعفري) ^٢ الإمام عليه السلام يوماً: ما معنى الواحد؟
فأجابه الإمام عليه السلام:

«الذي اجتمعت الألسن عليه بالتوحيد، كما قال الله عز وجل: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله).»^٣

■ وسأل (أبو هشام) عن قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)؟

فقال عليه السلام: «يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون. أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك. فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟..»^٤

وفي هذه الكلمات القصيرة -التي هي عين الحق- ، يبين الإمام أن الله سبحانه، أعلا وأجلّ وفوق أوهام المتوهمين في إدراكات الأفئدة والقلوب، فضلاً عن سائر الحواس!..

ولا يخفى أن في حديثه عليه السلام السابق ردّ صريح على أقاويل بعض

^١ - التوحيد ص ١٦٤

^٢ - داود بن قاسم الجعفري، أدرك الإمام الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر (راجع قاموس الرجال للمحقق التستري ج ١٠ ص ٢١٣)، وكان من الفقهاء الأجلاء، وتجاوز عمره المائة سنة.

^٣ - التوحيد ص ٤٤

^٤ - التوحيد ص ٦٤.

مَنْ سَبَرَ أَغْوَاراً لَيْسَتْ مِنَ الصَّوَابِ فِي شَيْءٍ، وَلَا مِنَ الْحَقِّ فِي مَكَانٍ،
فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: (وَكَلَّمَا يَتَرَأَى فِي عَالَمِ الْوُجُودِ إِنَّهُ غَيْرُ الْوَاجِبِ الْمَعْبُودِ،
إِنَّمَا هُوَ مِنْ ظُهُورِ ذَاتِهِ وَتَجَلِّيَاتِ صِفَاتِهِ، الَّتِي هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ عَيْنُ
ذَاتِهِ.. فَكُلُّ مَا تَدْرِكُهُ، فَهُوَ وَجُودُ الْحَقِّ فِي أَعْيَانِ الْمُمْكِنَاتِ).^١

أَوْ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: (فَكُلُّ مَا تَدْرِكُهُ، فَهُوَ وَجُودُ الْحَقِّ-تَعَالَى- فِي أَعْيَانِ
الْمُمْكِنَاتِ. فَالْعَالَمُ مَتَوَهَّمٌ مَا لَهُ وَجُودٌ حَقِيقِي).^٢

ثُمَّ وَفِي كَلَامِ الْإِمَامِ: «يُخْرِجُهُ.. مِنْ حَدِّ التَّشْبِيهِ» تَحْذِيرٌ لِمَنْ
شَبَّهُوا الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ، وَمَنْ الذِّينَ (جَعَلُوهُ مِنْ عِبَادِهِ جِزْءاً)، كَيْ لَا
تَتَدَنَّسَ الْقُلُوبُ بِإِدْعَاءَاتِ أَمْثَالِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ، الَّذِي يَقُولُ: (سَبْحَانَ مَنْ
أَظْهَرَ الْأَشْيَاءَ وَهُوَ عَيْنُهَا).^٣

أَوْ يَقُولُ: (هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ بِصُورِ الْبَسَائِطِ، ثُمَّ بِصُورِ الْمُرَكَّبَاتِ، فَيُظَنُّ
الْمَحْجُوبُ أَنَّهَا مَغَايِرَةٌ بِحَقَائِقِهَا، وَمَا يَعْلَمُ إِنَّهَا أُمُورٌ مَتَوَهَّمَةٌ، وَلَا وَجُودٌ
إِلَّا هُوَ).^٤ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

وَمِنْ هُنَا أَقُولُ:

وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ (ع) قَالَ: «..لِيَذْهَبَ النَّاسُ

^١ - الأسفار ج ١ ص ١١٧.

^٢ - فصوص الحكم ص ٢٣٤.

^٣ - الفتوحات المكية ج ٢ ص ٤٥٩، وفي فصوص الحكم ص ٨٠ شبهه

^٤ - الفصوص ص ١٦٣.

حيث شاءوا، فوالله ليس الأمر إلا من هاهنا-وأشار بيده إلى بيته-»^١
وقال ﷺ أيضاً: «ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب، ولا أحد من
الناس يقضي بقضاء حق، إلا ما خرج منا أهل البيت»^٢
وقال ﷺ: «كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل»^٣
ولأن الأئمة هم أصل كل علم، وأصل كل صواب.. فهل يجوز
الركون إلى غير باهم، الذي هو السبيل إلى النجاة، والمسلك
الأمثل.. وخصوصاً في باب توحيد الله ومعرفته؟^٤
والأحاديث صريحة أن من طلب العلم والهداية من غير القرآن
أضله الله^٥، ومن طلب علوم القرآن من غير العترة الطاهرة فقد هلك
وأهلك!.^٦

ثم كيف ننتدي إلى الصراط المستقيم عن طريق غيرهم، وهم

^١ - الكافي ج ١ ص ٣٩٩.

^٢ - الكافي ج ١ ص ٣٩٩، وفي البحار (ج ٢ ص ١٧٩) بنفس المضمون.

^٣ - الفصول المهمة ص ١٥٠.

^٤ - ورد في الحديث عن أمير المؤمنين: «العلم ثلاثة: آية محكمة، وسنة متبعة، وفريضة عادلة، وملا كهن أمرنا.» (مستدرك الوسائل ج ١٧ ص ٢٤٥)، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا ميزان العلم، وعلي كفتاه، والحسن والحسين خيوطه، وفاطمة علاقته، والأئمة من بعده عموده، يوزن فيه أعمال المحبين لنا والمبغضين.» (كفر العمال ج ٥ ص ٦٠٤)

^٥ - راجع مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٣٠٤.

^٦ - المصدر السابق.

الصراط المستقيم؟^١

وكيف نرجوا النجاة بإتباع مَنْ ناواهم، وهم سفن النجاة؟^٢

وكيف نستمسك بعروة سواهم، وهم العروة الوثقى؟^٣

(اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)^٤

فَمَنْ أولئك الذين جعلهم الله قادة لنا ومنقذين، وأمرنا بإتباعهم

وولايتهم وطاعتهم، وَمَنْ هم سرّ الله، وباب الله، وسفراء الله، وضياء

الله، وسناء الله، وكلمات الله، ورحمة الله..؟

هل منهم ابن العربيّ القائل:

عند الخلائق في الإله عقائد وأنا اعتقدتُ جميع ما اعتقدوه^٥

أو هل منهم أمثال المفتري القائل: سبحاني سبحاني، ما في الجبّة إلا الله!!

أم أنّهم العترة المصفاة من كلّ دنس ورجس، أهل بيت رسول

^١ - عن عليّ بن الحسين زين العابدين قال: «نحن باب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمه وحيه، ونحن أركان توحيده، وموضع سرّه». البحار ج ٢٤ ص ١٢.

^٢ - الغيبة للنعماني ص ٢٩.

^٣ - عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «...نحن صفوة الله، ونحن خيرة الله، ونحن مستودع موارث الأنبياء، ونحن أمناء الله.. (إلى أن قال): ونحن العروة الوثقى، وبنا فتح الله، وبنا يختم...» البحار ج ٢٦ ص ٢٥٩.

^٤ - الأعراف/٣

^٥ - فهو مؤمن وملحد، ومشرک وموحد، ويهودي ونصرانيّ ومسلم وبوذي في أن واحداً ويقول أيضاً: لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة فرعياً لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصف قرآن
راجع كتاب (صفحات) للشيخ مغنية.

الله الذين خلفهم للأمة من بعده، وجعل التمسك بهم وبالقرآن فريضة ورشداً، والتخلف عنهم وعن القرآن غيًّا وتيهًا وضلالة؟.

إذن.. هم السبيل ولا غيرهم، وهم الصراط ولا غيرهم، وهم الرشاد ولا غيرهم، فالحق معهم وفيهم ومنهم وإليهم.. حتى قال الإمام الباقر لرجلين: «شَرُّ قَا وَغَرُّبَا، فَلَئِنْ تَجَدَّا عَلِمَا صَحِيحًا إِلَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ»^١

و لقد أشاد مَنْ قال:

إليكم، و إلا لا تُشَدُّ الرِّكائبُ ومنكم، و إلا لا تُصَحَّ المواهبُ
وفيكُم، و إلا فالحدِيثُ مزْحَرَفٌ وعنكم، و إلا فالحدَّثُ كاذبٌ

* * *

وأختم هذا الباب بحديث عن الإمام الجواد عليه السلام، يعرفنا عن مدى علم الأئمة الأطهار من صغر سنهم:

عن (بنان بن نافع)، قال: دخل علينا محمد بن علي عليه السلام. فلما بصر لي، قال لي: «يا بن نافع، ألا أحدثك بحديث؟ إنا معاشر الأئمة، إذا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، يَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ^٢ أربعين يوماً. فإذا أتى له في بطن أمه أربعة أشهر، رفع الله تعالى له أعلام الأرض، فقرب له ما بعد عنه، حتى

^١ - البحار ج ٢ ص ٩٢، مستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٢٧٤.

^٢ - في مدينة المعاجز: في بطن، كذلك في البحار.

الله الذين خَلَفَهُم للأمة من بعده، وجعل التمسك بهم وبالقرآن فريضة ورشداً، والتخلف عنهم وعن القرآن غيًّا وتيهًا وضلالة؟.

إذن.. هم السبيل ولا غيرهم، وهم الصراط ولا غيرهم، وهم الرشاد ولا غيرهم، فالحق معهم وفيهم ومنهم وإليهم.. حتى قال الإمام الباقر لرجلين: «شرقًا وغربًا، فلن تجدَا علمًا صحيحًا إلا خرج من عندنا أهل البيت.»^١

و لقد أشاد مَنْ قال:

إليكم، وإلا لا تُشَدُّ الركائبُ ومنكم، وإلا لا تُصَحَّ المواهبُ
وفيكم، وإلا فالحديث مزخرفٌ وعنكم، وإلا فالحدث كاذبٌ

* * *

وأختم هذا الباب بحديث عن الإمام الجواد (عليه السلام)، يعرفنا عن مدى علم الأئمة الأطهار من صغر سنهم:

عن (بنان بن نافع)، قال: دخل علينا محمد بن علي (عليه السلام). فلما بصر بي، قال لي: «يا بن نافع، ألا أحدثك بحديث؟ إنا معاشر الأئمة، إذا حَمَلَتْه أمُّه، يسمع الصوت من بطن أمِّه^٢ أربعين يوماً. فإذا أتى له في بطن أمِّه أربعة أشهر، رفع الله تعالى له أعلام الأرض، فقرب له ما بُعد عنه، حتى

^١ - البحار ج ٢ ص ٩٢، مستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٢٧٤.

^٢ - في مدينة المعاجز: في بطن، كذلك في البحار.

لا يعزب عنه حلول قطرة غيث نافعة ولا ضارة..»
يقول بنان: ثم دخل علينا أبو الحسن -الرضا- عليه السلام، فقال لي: «يا بسن
نافع، سلّم، وأذعن له بالطاعة، فبروحه روحى، وروحي روح رسول
الله صلى الله عليه وآله». ^١

^١ - المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ٣٨٨، وفي البحار: ج ٥٠ ص ٥٥ ح ٣١.

معاجز الإمام الجواد عليه السلام

المعجزة هي من دلائل النبوة والإمامة، وهي أداء عمل يفوق مقدرة الناس، ويعجزوا عن فعل مثلها. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «المعجزة علامة لله، لا يعطيها إلا أنبياءه ورسله وحججه، ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب.»^١

وقد كانت للمعجزات الأثر الكبير في تبين الحق الناصع، وجلب العقول نحوه، للذين هم به يهتدون.. وأما من ختم الله على أفئدتهم، فكان لها، أيضاً الأثر الكبير في إقامة الحجة عليهم.

فقد كان في إحياء عيسى بن مريم للموتى، وفي تسخير الرياح لسليمان، وفي تليين الحديد لداود، وفي شق القمر لرسول الله، وفي ردّ الشمس لأمر المؤمنين.. الحجة البالغة، ليحيى من حيّ عن بينة، ويهلك

^١ - البحار ج ١١ ص ٧١.

مَنْ يَهْلِكُ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرِّسْلِ وَالْأُتَمَّةِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ.

والإمام الجواد عليه السلام أيضاً كانت له -إتماماً للحجة، وتصديقاً
لصدقه، وتبييناً لمقامه-، من تلك الكرامات والمعاجز، الشيء الكثير..
وبالذات حيث أنه عليه السلام ألبس مقاليد الإمامة، وهو صغير السن -
كما أسلفنا فيه الذكر -، فإنه كان بحاجة إلى أن يبرهن للناس إمامته كي
يشقّ شكوهم باليقين، ويجلي ضباب ترددهم بالإطمئنان. ولهذا فاقت
معاجزه عليه السلام السبعين!

ولو أردتُ جمع شوارد الباب هذا، لطال الحديث. وإنما أكتفي بذكر
بعض ما ورد:

■ يقول (محمد بن يحيى): لقيتُ محمد بن علي عليه السلام على شطّ
الدجلة، فالتقى له طرفاها حتى عبر! ورأيتُه بـ(الأنبار)^١، على
الفرات، فعل مثل ذلك.^٢

■ كان في عهد الإمام الجواد عليه السلام رجل يقال له (شاذويه). أتى
إلى الإمام يوماً، وكانت زوجته حامل، قال له الإمام عليه السلام: «إِنَّ لَكَ
أَهلاً حاملاً. وعن قريب تلد غلاماً، وإنّها لم تمت في ذلك
الغلام..»

فأفاقت تلك المرأة عن مدّة قصيرة، وولدت غلاماً ميتاً!

^١ - الأنبار: مدينة على الفرات، غربيّ بغداد (القطرة ج ١ ص ٤٢٢).

^٢ - دلائل الإمامة: ص ٣٩٨ ح ٩، عنه مدينة المعاجز: ج ٧ ص ٣١٩ ح ٤٦.

قال (محمد بن سنان) للإمام: يا سيدي، تسأل الله أن يحييه؟
 فقال الإمام عليه السلام: «اللهم إنيك عالم بسرائر عبادك، فإن (شاذويه) قد
 أحب أن يرى فضلك، فأحيي له أنت الغلام.»
 يقول شاذويه: فأسرعتُ إلى منزلي، فتلقيتني البشارة أن ابني قد
 عاش! ^١

■ ويقول (يحيى بن أكثم): بينا أنا ذات يوم دخلتُ أطوف بقبر
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرأيت محمد بن علي الرضا عليه السلام يطوف به، ^٢ فناظرته
 في مسائل عندي، فأخرجها إليّ. فقلتُ له: والله إني أريد أن أسألك
 مسألة واحدة، وإني والله لأستحي من ذلك.
 فقال عليه السلام لي: «أنا أخبرك قبل أن تسألني. تسألني عن الإمام.»
 فقلت: هو والله هذا.

فقال عليه السلام: «أنا هو.» فقلت: علامة؟
 فكان في يده عليه السلام عصا، فنطقتُ العصا فقالت: «إنه مولاي، إمامُ
 هذا الزمان وهو الحجة.» ^٣

أقول: الظاهر أن هذه العصا هي عصا موسى عليه السلام التي فلق بها
 البحار، وانقلبت حية تسعى. فقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «كانت

^١ - الهداية الكبرى ص ٣٠٦.

^٢ - قال العلامة المجلسي (قدس) معلقاً: لعل المراد من (يطوف به) يعني أنه عليه السلام يمر به إلى قبر
 فاطمة عليها السلام ولا يطوف كما يطوف حول الكعبة. (البحار ج ٥٠ ص ٦٨).

^٣ - الكافي ج ١ ص ٣٥٣.

عصى موسى لآدم، فصارت إلى شعيب، ثم صارت إلى موسى بن عمران. وإِنَّهَا لَعِنْدُنَا. وَإِنَّ عَهْدِي بِهَا آتِياً وَإِنَّهَا لَتَنْطِقَ إِذَا اسْتَنْطَقَتْ..»^١

■ عن حكيمة بنت الإمام الرضا عليه السلام قالت:

لما توفي أخي محمد بن الرضا عليه السلام، صرتُ يوماً إلى امرأته أم الفضل بسبب احتجتُ إليها فيه.

فبينما نحن نتذاكر فضل محمد - تعني الإمام الجواد عليه السلام - وكرمه، وما أعطاه الله من العلم والحكمة، إذ قالت امرأته أم الفضل: يا حكيمة، أخبرك عن أبي جعفر بن الرضا عليه السلام بأعجوبة لم يسمع أحدٌ بمثلها؟ قلت: وما ذاك؟

قالت: إِنَّهُ عليه السلام كان ربّما أغارني مرّةً تجارية، ومرّةً يتزوج. فكنتُ أشكوه إلى المأمون، فيقول: يا بنية، احتملي فَإِنَّهُ ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. فبينما أنا ذات ليلة جالسة، إذ أتت امرأة، فقلتُ لها: من أنتِ؟ فكأنها قضيب (بان)^٢ أو غصن (خيزران)^٣ قالت: أنا زوجة لأبي جعفر. قلت: مَنْ أبو جعفر؟

قالت: محمد بن الرضا عليه السلام، وأنا امرأة من وُلد عمّار بن ياسر.

^١ - إكمال الدين للصدوق ج ٢ باب ٥٨ حديث ٢٧.

^٢ - البان: جمع (بانه) وهو شجر سبط القوام لين، ورقه كورق الصفصاف.

^٣ - خيزران (بضمّ الزاء) شجر هندي وهو عروق ممتدة في الأرض (كما في البحار ج ٥ ص ٦٩).

قالت أم الفضل: فدخلني من الغيرة ما لا أقدر على احتمالـه. وهمت أن أخرج وأسيح في البلاد، وكان الشيطان يحملني إلى الإساءة بها. فكظمت غيظي وأحسنت رفدها وكسوتها.

فلما خرجت عني، لم أتمالك أن تهضت، ودخلت على أبي-المأمون-، فأخبرته بذلك. وقد كان ثملاً من الشراب، وقد مضى من الليل ساعات. فأخبرته بحالي، وقلت له: يشتمني - تعني الإمام- و يشتمك ويشتم العباس وولده. وقلت ما لم يكن.

تقول: فغاضه ذلك مني جداً، ولم يملك نفسه من السكر! وقام مسرعاً، فقال للخادم: يا غلام عليّ بالسيف.

فضرب بيده إلى سيفه، وحلف أنه يقطعه بهذا السيف ما بقي في يده! وصار إليه-أي إلى الإمام-.

تقول أم الفضل: فندمت عند ذلك، فقلت في نفسي: إنا لله وإنا إليه راجعون. ما صنعتُ بنفسي وزوجي؟! هلكتُ وأهلك. وجعلتُ ألطم على وجهي.

فعدوت خلفه لأنظر ما يصنع.

فدخل عليه وهو نائم. وما زال يضرب بالسيف، حتى قطعه!! ثم وضع سيفه على حلقه فذبحه. وأنا أنظر إليه، وياسر الخادم ينظر أيضاً. وانصرف المأمون، وهو يزبد مثل الجمل.

١ - أي كان سكراناً نشواناً.

فلما رأيتُ ذلك، هربتُ على وجهي حتى رجعتُ إلى منزل أبي.
فبتُ ليلة لم أنم فيها إلى أن أصبحت.

فلما أصبحت، أتيتُ أبي، وكان قد أفاق من السكر. فقلتُ له: أتدري
ما صنعتُ البارحة؟

قال: لا والله. فما الذي صنعتُ ويلك؟

قلت: قتلْتُ ابنَ الرضا! فإِنَّكَ صرْتَ إِلَيْهِ ﷺ وهو نائمٌ، فقطعْتَه إرباً
إرباً، وذبحْتَه بسيفك وخرجتُ من عنده!.

فبرقَ -المأمون- عينه وغشي عليه. فلما أفاق من غشوته، قال: ويلك ما
تقولين؟

قلت: نعم والله يا أبتِ، أقولُ ما فعلتُ.

فصاح المأمونُ: يا ياسر، ما تقول هذه الملعونة، ويلك؟

قال: صدقتُ في كلِّ ما قالت يا أمير المؤمنين.

قالت: فضرب أبي بيده على صدره، فقال: إنا لله وإنا إليه

راجعون. هلكنا والله وأعطينا وافتضحنا آخر الأبد.

ثم قال: ويلك يا ياسر، بادِرْ إليه وانظر ما القصّة، وعجّلْ عليَّ

بالخبر، فإنَّ نفسي تكاد تخرج الساعة!.

تقول أمّ الفضل: فخرج ياسر، وأنا الطم خدي ووجهي، فما

كان بأسرع ما رجع وقال: يا أمير المؤمنين، البشري.

قال: وما ورائك؟!

قال الخادم: دخلتُ، فإذا هو ﷺ قاعد يستاك، وعليه قميص و

دواج! فبقيت متحيراً في أمره، ثم أردت أن أنظر إلى بدنه، هل فيه شيء من جراحة أو أثر السيف، فقلت له: **﴿﴾**: أحب أن تهب لي هذا القميص الذي عليك، لأتبرك فيه.

يقول الخادم: فنظر **﴿﴾** إليّ وتبسّم، وكأنه علم ما أردت بذلك. فقال **﴿﴾**: «أكسوك كسوة فاخرة.»

فقلت: لست أريد غير هذا القميص الذي عليك. فخلعه **﴿﴾** وكشف بدنه، فوالله ما رأيت أثراً!!.

فخرّ المأمون ساجداً، وهبّ لياسر ألف دينار. وقال: الحمد لله الذي لم يتلني بدمه. ثم بكى بكاءً شديداً، وقال: ما بقي بعد هذا شيء. إن ذلك عبرة للأولين والآخرين.

ثم قال: يا ياسر، أمّا مجيء هذه الملعونة إليّ، وبكاؤها بين يديّ، فأذكره، وأمّا مصيري إليه فلست أذكره.

فقال ياسر: والله ما زلت تضربه بالسيف، وأنا وهذه ننظر إليك وإليه، فقطعته قطعة قطعة، ثم وضعت سيفك على حلقه، فذبحته وأنت تزبد كما يزبد البعير!.

فقال المأمون: الحمد لله.

قالت أم الفضل: ثم قال لي: والله لئن عدت بعدها إلى شكواك مما يجري بينكما.

^١ - يستاك أي: يستعمل السواك. والدواج - بالضم - وهو اللحاف الذي يلبس.

ثم قال لياسر: احمِلْ إليه عشرة آلاف دينار، وسلِّه الركوب إليّ،
وابعث إلى الهاشميين والأشراف والقوَّاد ليركبوا معه إلى عندي، ويبدءوا
بالدخول إليه والتسليم عليه.

ففعل ياسر ذلك، وصار الجميع بين يديه ﷺ وأذن للجميع.

فقال الإمام الجواد ﷺ: «يا ياسر، هذا كان العهد بيني وبينه حتى
يهجم عليّ بالسيف! أما علم أنّ لي ناصراً وحاجزاً يحجز بيني وبينه؟!»
قال ياسر: يا بن رسول الله، ليس هذا وقت العتاب، فوحيق
محمد ﷺ وعليّ ﷺ، ما كان يعقل من أمره شيئاً.

ثم أذن ﷺ للأشراف كلّهم بالدخول إلّا (عبد الله) و(حمزة) ابني
(الحسن)، لأنّهما كانا وقعا فيه عند المأمون،^١ وسعيا به مرّة بعد أخرى.
ثم قام ﷺ، فركب مع الجماعة، وصار إلى المأمون.

فتلقاه، وقبل ما بين عينيه، وأقعده على المقعد في الصدر. وأمر أن يجلس
الناس ناحية، ونحلا به يعتذر إليه!

فقال أبو جعفر ﷺ: «لك عندي نصيحة فاسمعهَا منّي.»

قال المأمون: هاتها.

قال ﷺ: «أشير عليك بترك الشراب المسكر.»

قال: فذاك ابن عمّك، قد قبلتُ نصيحتك.^٢

^١ - وقع فيه: اغتابه وذكره بسوء.

^٢ - البحار ج ٥٠ ص ٦٩.

تحليل للمعجزة

يحتمل في الحكاية -بناءً على صحتها- احتمالان:

الأول: أن المأمون العباسي قطع الجواد عليه السلام إرباً إرباً حقيقة.

أي: قد تحقق هذا العمل في الخارج، ووقعت هذه الجريمة النكراء من المأمون العباسي.. ولكن الله تعالى -بقدرته- أفاض على الإمام الجواد عليه السلام العافية بإبراء جميع جراحاته، كما حدث في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام. قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ أُولِمَ تَأْمِنُ، قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، قَالَ فَاخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ سَعِياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^١ فقد ورد في التفسير أن الله تعالى أمر إبراهيم الخليل عليه السلام أن يأخذ أربعة من الطير مختلفة الأجناس، وهي: الطاووس والديك والحمام والغراب، وأمر أن يقطعها ويخلط ريشها بدمها، ويفرق أجزائها على عشرة جبال. ففعل إبراهيم ذلك، ثم دعاهن وقال: «أَجِبْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ» فكان إبراهيم ينظر إلى الريش يسعى بعضها إلى بعض، وكذلك العظام واللحوم. فكانت تجتمع، ويألف لحم كل واحدٍ وعظمه إلى رأسه. ثم أتينه مشياً على أرجلهن..

والاحتمال الثاني: أن عملية ضرب المأمون الإمام الجواد عليه السلام

^١ - البقرة / ٢٦٠.

بالسيف، وتقطيعه إرباً إرباً لم تحدث، ولم تقع في الخارج. بل إن الله تعالى ألقى شبه الإمام الجواد عليه السلام على شيء من الأشياء الموجودة هنالك، فظنّ المأمون أنّ ذلك الشيء هو الإمام الجواد عليه السلام فقطعه إرباً إرباً كما حدث ذلك في قصة عيسى بن مريم عليه السلام، فقد قال تعالى: (وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم، وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه، ما لهم به من علمٍ إلاّ إتباع الظنّ وما قتلوه يقيناً).^١

فقد ألقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام على (طيطانوس)^٢ الذي أرسله (يهوذا) -رأس اليهود- للبحث عن عيسى بن مريم. فرفع الله عيسى إلى السماء، وألقى شبه عيسى على (طيطانوس)، فصلبوه وهو يقول: لستُ بصاحبكم -عيسى-، أنا الذي دلتُكم عليه!. ولكنّهم لم يصدّقوا كلامه، لأنّهم رأوه شبه عيسى فصلبوه.

فالله الذي خلق عيسى بن مريم على صورة من الصور، قادرٌ على أن يجعل ملايين البشر على صورة عيسى أو غير عيسى مما يشاء. ولا يعجزه عن ذلك شيء..

فلا يبعد أن يكون الذي حصل للمأمون، وفي تلك الليلة التي هجم فيها على الإمام الجواد عليه السلام وضربه بسيفه.. كان تبصراً من الله تعالى في عينيه وأعين من كان معه، فكان المأمون يضرب بالسيف شيئاً

^١ - النساء / ١٥٧.

^٢ - راجع مجمع البيان ج ٣ ص ٢٣٢.

آخر، ويخيّل إليه أنّه يضرب الإمام الجواد عليه السلام.

وهذه الوجوه المحتملة كلّها تحليلات مادّية لتقريب المعنى إلى الذهن. وأمّا المعجزة، فهي فوق المقاييس الطبيعية والمادّية. ولا يمكن تحليلها على ضوء المادّة أبداً، ولا شكّ أنّ الإمام الجواد عليه السلام، ردّ كيد المأمون عن طريق المعجزة التي مكّنه الله منها يستخدمها متى شاء..^١

■ يقول (محمد بن سنان): شكوتُ إلى الرضا عليه السلام وجع العين.

فأخذ عليه السلام قرطاساً فكتبَ إلى أبي جعفر عليه السلام وهو أقلّ من نيتي، ودفع الكتاب إلى الخادم، وأمرني أن أذهب معه. وقال عليه السلام: «اكنم».

- يقول -: فأتيناه وخادم حمله، ففتح الخادم الكتاب بين يدي أبي جعفر عليه السلام، فجعل أبو جعفر عليه السلام ينظر في الكتاب، ويرفع رأسه إلى السماء ويقول: «ناج».

ف فعل عليه السلام ذلك مراراً، فذهب كلّ وجع في عيني، وأبصرتُ بصراً لا يبصره أحد!.

■ عن (حكيم بن حمّاد)، قال: رأيتُ سيّدي محمد بن علي عليه السلام، وقد

ألقي في (دجلة) خائماً، فوقفتُ كلُّ سفينة صاعدة وهابطة!..

ثمّ قال عليه السلام لغلّامه: «أخرج الخاتم» فسارت الزوابق.^٢

■ وذكر ابن شهر آشوب في المناقب، عن (عسكر) مولى أبي

جعفر عليه السلام قال: دخلتُ عليه عليه السلام، فقلتُ في نفسي: يا سبحان الله، ما

^١ - راجع كتاب الإمام الجواد من المهد إلى اللحد ص ٣٥٤-٣٥٧.

^٢ - دلائل الإمامة: ص ٣٩٨ ح ٣٥٠.

أشدَّ سُمرَةً مولاي، وأضوءاً جسده!.

قال (عسكر): فوالله ما استتممتُ الكلام في نفسي، حتى تناول وعرض جسده ﷺ، وامتلاً به الإيوان إلى سقفه، ومع جوانب حيطانه!.

ثم رأيتُ لونه ﷺ وقد اظلمَ حتى صار كالليل المظلم!.

ثم ابيضَّ، حتى صار كأبيض ما يكون من الثلج!.

ثم احمرَّ، حتَّى صار كالعلق المحمرَّ!.

ثم اخضرَّ، حتى صار كأخضر ما يكون من الأغصان المورقة الخضرة!.

ثم تناقص جسمه ﷺ حتى صار في صورته الأولى، وعاد لونه ﷺ الأول! وسقطتُ لوجهي مما رأيت.

فصاح ﷺ بي: «يا عسكر، تشكّون فنشبتكم، وتضعفون فنقويكم. والله لا يصل إلى حقيقة معرفتنا إلا مَنْ مَنَّْ الله عليه بنا، وارتضاه لنا ولياً.»^٢

* * *

هذه بعض آثار عظمة الإمام الجواد ﷺ، التي تكشف عن مدى حبه لله وحب الله له، حتى أكرمه ورفع شأنه، وأجرى على يديه تقديره، وألزم الناس ولايته..

^١ - وفي نسخة: (أضوى)، يقال: ضَوِيَ الرجل: أي دَقَّ عظمه، وقلَّ جسمه.

^٢ - مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ص ٥٢٧، وفي البحار: ج ٥٠ ص ٥٥ ح ٣١ مع بعض الاختلاف في الألفاظ.

فلا غرو أن يضرب الإمام عليه السلام على ورق الزيتون، و يغيرها أوراقاً نقدية^١، أو أن يمدد الحديد بغير نار^٢، أو يطبع على الحجارة بخاتمه^٣، أو تشهد العصا بولايته وإمامته^٤، أو ينفرج الحائط له^٥، أو تثمر السدرة اليابسة بالماء الذي توضع فيه^٦، أو يحيي الموتى بمراى من الناس^٧ حتى يسمّوه بـ(عيسى الثاني!)^٨، فهو مولى الكائنات وإمام زمانها...

^١ - دلائل الشيعة ص ٢١٠، عن إبراهيم ابن سعيد، قال: رأيتُ محمد بن علي عليه السلام يضرب بيده إلى ورق الزيتون ويغيرها أوراقاً نقدية.. وفي نسخة: فيصير في كفه ورقاً، فأخذتُ منه كثيراً، وأنفقته في الأسواق فلم يتغير. (مدينة المعاجز: ج ٧ (ص ٣١٩ ح ٤٥) .

^٢ - عن عمارة قال: (رأيتُ الجواد عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، ما علامة الإمام ؟ فقال عليه السلام: «إذا فعل هكذا» ووضع يده على صخرة، فبان أصابعه عليه السلام فيها، ورأيتُه عليه السلام يمدد الحديد بغير نار.. (دلائل الشيعة ص ٢١١) .

^٣ - المصدر السابق.

^٤ - قد مرّ هذا الحديث مفصلاً فراجع.

^٥ - إثبات الوصية: ص ٢١٥.

^٦ - الإرشاد: ص ٣٢٣.

^٧ - الهداية الكبرى ص ٣٠٦.

^٨ - (البحار ج ٥٠، ص ١٦) .

تقوى الإمام الجواد عليه السلام

إنَّ تقوى الإمام الجواد عليه السلام البارز، يكشف عن إخلاص أبرز.. لا يعرف الشكَّ إليه من سبيل، و لا يجد الخمود إليه من طريق.. ويكشف عن مدى تنمّره في ذات ربّه سبحانه..

وهيّا ثنّ - أخي القارئ - بلفتة نحو زواج الإمام عليه السلام، حينما أراد المأمون أن يحتال عليه عليه السلام - لكي يهوى به إلى مزالق الفساد، فينقص من كرامته وهيبته لدى الناس -.. (إنَّ المأمون احتال بكلّ حيلة، فلم يمكنه في شيء. ولما أراد أن يزوجه ابنته، جاء بمائة وصيفة من أجمل ما يكون. ودفع إلى كلّ واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر، يستقبلن أبا جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الأختان.^١ فلم يلتفت الإمام عليه السلام إليهنّ!).

وكان رجل يقال له: (مُخْصَرِق)، صاحب صوت وعود وضرب^٢، طويل اللحية. فدعاه المأمون، فقال: إنَّ كان في شيء من أمر

^١ - هكذا في المصدر، ولعل الصحيح، كما في بعض النسخ: الأخيار.

^٢ - في نسخة أخرى: طرب.

الدنيا، فأنا أكفيك أمره.

فقعدَ (مخارق) بين يدي أبي جعفر عليه السلام، فشقق شهقة، اجتمع إليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده ويغني.

فلما فعل ساعة، وإذا أبو جعفر عليه السلام لا يلتفت، لا يمينا ولا شمالاً!! ثم رفع عليه السلام رأسه، وقال: «اتق الله يا ذا العثنون»^١

فسقط المضرب من يده والعود، فلم ينتفع بيده إلى أن مات!^٢
ولما سأله المأمون عن حاله، قال: لما صاح بي أبو جعفر عليه السلام،
فزعتُ فزعة لا أفيق منها أبداً!^٣

فخذ-أخي- حياة الإمام عليه السلام، وادرسه درساً كافياً وافياً، وكاملاً شاملاً، فهل تجد فيه نقصاً في الإخلاص، أو ضعفاً في الورع والتقوى، أو ركوناً إلى هوى النفس (فارجع البصر هل ترى من فطور)؟.. كلاً وألف كلا.

ولذا، ما تمسك بعروة ولايته من تمسك، إلا لأنه الصادق المصدق.. ما قال من الكلم من شيء، إلا صدقته أفعاله. وما أمر أمراً، إلا وسبقته إليه أعماله..

فحينما يأمر بالتقوى، فإنه من أول من (أوفى بعهده واتقى)..
وعندما يوصي، هو وآبائه بالورع، فإنهم السابقون السابقون في

^١ - العثنون هو اللحية.

^٢ - مناقب أبي طالب ج ٤ ص ٣٩٦.

^٣ - الكافي ج ١ ص ٥٦٥ باب مولد الإمام عليه السلام.

تطبيقه..

لم تختلف أقواله مع أفعاله، ولا سيرته مع وصيته، ولا مقدار حبة من خردل، - وإنما اختلف أعدائه إفكاً وزوراً -.

إن قول الإمام (عليه السلام) كان امتداد فعله، وأمره مظهر صدقه، فهل - يا ترى - يأمر بما لم يؤمن به عمله، أم هل يكلم بما لا تبلغه جوارحه، وهو الذي مثل نور التقوى والإخلاص، ونور الورع والعفة، ونور الإيمان والمبدأ الحق.. حتى أصبح كجده: (على خلق عظيم)!

إن الإمام الجواد (عليه السلام) هو الذي قال: «لو كانت السماوات والأرض رتقاً على عبد، ثم اتقى الله تعالى، لجعل منها مخرجاً»^١
وإنه القائل: «بالتقوى نجا نوح (عليه السلام) ومَن معه في السفينة، وصالح (عليه السلام) ومَن معه من الصاعقة».

«وبالتقوى فاز الصابرون، ونجت تلك العصابة من المهالك..»^٢
وهو القائل: «السؤدد حقّ السؤدد لمن اتقى الله ربّه»^٣
لذلك صار الإمام محمد (التقي) من سادة الأتقياء وساستهم، فهو الأسوة والقدوة.. وسنته حجة، قولاً وفعلًا وتقريراً..

^١ - إحقاق الحق، ج ١٢ ص ٤٣٥.

^٢ - البحار ج ٧٥ ص ٧٩ ح ٦٢.

^٣ - كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٥٠.

«٦»

أدعية الإمام الجواد

إِنَّ الْأَئِمَّةَ، عرفوا الله حقَّ المعرفة، فعبدوه حقَّ العبودية.. وإِنَّهم، خافوا مقام ربِّهم، فتبتَّلوا إليه تبتُّلاً.

عَظُمَ الخالق في أنفسهم، فصاروا لا يَمُكِلُون السَّمْعَ عن الجريان.. يعتبرون أنفسهم مقصَّرين أمام الله وعظمتَه، فيلوذون بعفوه، ويعوذون بحلمه، ويدعونه تضرَّعاً وخفية، ويستغفرونه، وقد عصمهم الله من الزلل، وجعلهم عدل كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..^١

أولا ترى، لما يجري من بين ثناياهم الدعاء، كأنهم القرآن قد نطق بالحق!..

وعندما يتلون الكتاب -بذلك الوعي، وبذلك المعرفة- حق تلاوته، ترى انسجام نفوسهم مع معانيه، واندماج أرواحهم بالذي أوحى الله إلى نبيه.. وترى انطباق القرآن بالقرآن.. الصامت بالناطق..

^١ - من الأحاديث المتواترة عند الفريقين باختلاف يسير في الألفاظ، ومن رواها مسلم، بإسناده عن (زيد بن أرقم) قال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين. أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.» فحثَّ على كتاب و رَغِبَ فيه. ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. وإني لن يفترقا حتى يسردا عليَّ الخوض.» (صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧٣). ورواه الترمذي أيضاً في صحيحه (ج ٥ ص ٦٢٢)، وأحمد في مسنده (ج ٣ ص ١٤، ٢٩)، والحاكم في المستدرک (ج ٣ ص ١٠٩).

فإنه يأمر، وهم يطبقون..

يقول: (قُم اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)^١، وهم يقومونه إلا قليلاً..

يقول: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ)^٢، وهم المتهجدون به نافلة..

ويقول: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ)^٣ وهل يتقدمهم أحد في كل ذلك؟..

قَوْمٌ عُلُومُهُمْ عَنْ جَدِّهِمْ أَخَذَتْ	عَنْ جِبْرِئِيلَ، وَجِبْرِيلٌ عَنِ اللَّهِ
هَمُّ السَّفِينَةِ مَا كُنَّا لِنَطْمَعُ أَنْ	نَنْجُو مِنَ الْهَوْلِ فِي الْحَشْرِ لَوْلَا هِيَ
الْخَاشِعُونَ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ، فَمَا	تَغْشَاهُمْ سَنَةٌ تَنْفِي بِإِنْبَاءِ
وَلَا بَدَتْ لَيْلَةٌ إِلَّا وَاقِبَلَهَا	مِنَ التَّهَجُّدِ مِنْهُمْ كُلَّ آوَاهِ
وَلَيْسَ يَشْغَلُهُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ	تَغْرِيدُ شَادٍ وَلَا سَاقٍ وَلَا طَاهِ
سَحَابٌ لَا تَزَالُ الْعِلْمُ هَامِسِيَّةٌ	أَجَلَ مِنْ سُحُبٍ تَهْمِي بِأَمْوَاهِ

فأدعية الأئمة، هي ذلك الكثر النفيس في التوحيد والعقيدة.

والسفرُ الجليل، الحافل بالأخلاق والعرفان. والمنهل العذب الذي يفيض بالكمال والآداب، ذلك أنهم القرآن الناطق، وعباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

^١ - المزمل/٢.

^٢ - الإسراء/٧٩.

^٣ - التوبة/١١٢.

مَنْ جَاءَ بِالْقَوْلِ الْبَلِيغِ، فَعَنْهُمْ وَ إِلَّا فَهُوَ مِنْهُمْ سَارِقُ
سَاوُوا كِتَابَ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ صَامِتٌ وَهُمْ الْكِتَابُ النَّاطِقُ

وللإمام الجواد عليه السلام أدعية ومناجاة كثيرة ماثورة في مجالها، أذكر
بعضاً منها تبركاً وتيمناً وداعياً..

* مناجاة «الوسائل إلى المسائل»

لما زَوَّجَ المأمونُ أبا جعفر عليه السلام ابنته، كتب عليه السلام إلى المأمون:
«إِنَّ لِكُلِّ زَوْجَةٍ صِدَاقًا مِنْ مَالِ زَوْجِهَا. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ أَمْوَالَنَا فِي
الْآخِرَةِ، مُؤَجَّلَةً مَذْخُورَةً هُنَاكَ، كَمَا جَعَلَ أَمْوَالَكُمْ مُعَجَّلَةً فِي الدُّنْيَا،
وَكَثَرَهَا هَاهُنَا.»

«وقد أمهرتُ ابنتك: (الوسائل إلى المسائل). وهي مناجاة دفعها إليَّ
أبي، قال: دفعها إليَّ أبي، قال: دفعها إليَّ أبي: جعفر، قال: دفعها إليَّ
محمد -الباقر- أبي، قال: دفعها إليَّ علي بن الحسين أبي، قال: دفعها إليَّ
الحسين أبي، قال: دفعها إليَّ الحسن أخي، قال: «دفعها إليَّ أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب، قال: دفعها إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: دفعها إليَّ
جبرائيل، قال: يا محمد، ربُّ العزة يقرئك السلام، ويقول لك: «هذه
مفاتيح كنوز الدنيا والآخرة، فاجعلها و(سائلك إلى مسائلك)، تصل

إلى بُغيتك^١، فتنجح في طلبتك. فلا تؤثرها في حوائج الدنيا، فتبخس بها الحظّ من آخرتك.»

«وهي عشر وسائل إلى عشر مسائل، تطرق بها أبواب الرغبات فتفتح، وتطلب بها الحاجات فتنجح، وهذه نسختها:

١ (المناجاة بالإستخارة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ إِنَّ خَيْرَ ثُكٍّ فِيمَا اسْتَخَرْتُكَ فِيهِ، تُنِيلُ الرِّغَائِبَ، وَتَجْزِلُ الْمَوَاهِبَ، وَتُغْنِمُ الْمَطَالِبَ، وَتُطَيِّبُ الْمَكَاسِبَ، وَتَهْدِي إِلَى أَجْمَلِ الْمَذَاهِبِ، وَتَسُوقُ إِلَى أَحْمَدِ الْعَوَاقِبِ، وَتَقِي مَخَوْفَ النَّوَائِبِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ فِيمَا عَزَمَ رَأْيِي عَلَيْهِ، وَقَادَنِي عَقْلِي إِلَيْهِ، فَسَهِّلْ اللَّهُمَّ مِنْهُ مَا تَوَعَّرَ، وَيَسِّرْ مِنْهُ مَا تَعَسَّرَ، وَاكْفِنِي فِيهِ الْمَهْمَ وَادْفَعْ عَنِّي كُلَّ مَلَمٍ.

وَاجْعَلْ يَا رَبُّ عَوَاقِبَهُ غَنَمًا، وَمَخَوَفَهُ سَلَامًا، وَبُعْدَهُ قَرَبَةً، وَجَدْتَهُ نَخَصِبًا.

وَأَرْسِلْ اللَّهُمَّ إِجَابَتِي، وَأَنْجِحْ طَلِبَتِي، وَاقْضِ حَاجَتِي، وَاقْطَعْ عَنِّي عَوَاقِبَهَا وَامْنَعْ عَنِّي بَوَاقِبَهَا، وَاعْطِنِي اللَّهُمَّ لَوَاءَ الظَّفَرِ بِالْخَيْرَةِ فِيمَا اسْتَخَرْتُكَ، وَوَفُورِ الْمَغْنَمِ فِيمَا دَعَوْتُكَ، وَعَوَائِدِ الْأَفْضَالِ فِيمَا رَجَوْتُكَ، وَاقْرَنِهِ اللَّهُمَّ بِالنَّجَاحِ، وَخَصَّهُ بِالصَّلَاحِ، وَأَرِنِي أَسْبَابَ الْخَيْرَةِ فِيهِ وَاضْطَحَّةَ، وَأَعْلَامَ غَنَمِهَا لِائْتِحَةِ، وَاشْدُدْ خَنَاقَ تَعْسِيرِهَا وَأَنْعَشْ صَرِيخَ تَكْسِيرِهَا، وَبَيِّنْ اللَّهُمَّ مَلْتَبِسَهَا، وَأَطْلُقْ مَحْتَبِسَهَا وَمَكَّنْ أَسْهَأَ حَتَّى تَكُونَ خَيْرَةً مُقْبَلَةً

^١ - البغية: الهدف والقصد.

بالغنم، مزيلة للغرم عاجلة النفع، باقية الصنع، إنك مليء بالمزيد مبتدي
بالجود قبل استحقاقه وصلّ على محمد المحمود وآله الطاهرين.

٢) المناجاة بالاستقالة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنَّ الرَّجاءَ لسعة رحمتك أنطقني
باستقالتك، والأمل لأناتك ورفقك شجّعي على طلب أمانك وعفوك،
ولي - يا ربّ - ذنوبٌ قد واجهتها أوجه الانتقام، وخطايا قد لاحظتها
أعين الإصطلام، واستوجبتُ بها - على عدلك - أليم العذاب واستحققتُ
باجتراحها مبرّ العقاب، وخفتُ تعويقها لإجابتي وردّها إياي عن قضاء
حاجتي وإبطاهما لطلبي وقطعها لأسباب رغبتني من أجل ما قد أنقض
ظهري من ثقلها، وبهظني من الاستقلال بحملها ثم تراجعت - ربّ - إلى
حلمك عن الخاطئين، وعفوك عن المذنبين، ورحمتك للعاصين، فأقبلتُ
بثقتي متوكلاً عليك، طارحاً نفسي بين يديك، شاكياً بشي إليك، سائلاً
ما لا أستوجبُه من تفريج الهمّ ولا استحقّقه من تنفيس الغمّ، مستقيلاً لك
إياي، واثقاً - مولاي - بك.

اللهم فامنن عليّ بالفرج وتطول بسهولة المخرج و ادللي برأفتك على
سمت المنهج، وأزلقني بقدرتك عن الطريق الأعوج وخلصني من سجن
الكرب بإقالتك، وأطلق أسري برحمتك، وطّل عليّ برضوانك، وجُد
عليّ بإحسانك، وأقلني عثرتي، وفرّج كربت، ي وارحم عيرتي، ولا
تحجب دعوتي، واشدد بالإقالة أزرّي، وقوّ بها ظهري، واصلح بها

أمرى، وأطل بها عمري، وارحمني يوم حشري، ووقت نشري، إنك
جوادٌ كريمٌ غفورٌ رحيمٌ، وصلِّ على محمد وآله.

(٣) المناجاة بالسفر

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم أني أريدُ سفرًا فخر لي فيه، وأوضح لي
سبيل الرأي وفهميه، وافتح عزمي بالاستقامة، واشملي في سفري
بالسلامة، وافدي جزيل الحظَّ والكرامة، و اكلائي بحسن الحفظ
والحراسة. وجنبي -اللهم- وعشاء الأسفار، وسهل لي حزونة الأوعار،
واطو لي بساط المراحل، وقرب مني بُعد نأي المناهل، وباعدني في المسير
بين خطى الرواحل حتى تقرب نياط البعيد وتسهل وعور الشديد، و
لقني -اللهم- في سفري بنجح طائر الواقعة، وهبني فيه غنم العافية وخفير
الاستقلال، ودليل مجاوزة الأهوال سانح خفير الولاية واجعله -اللهم-
سبب عظيم السلم حاصل الغنم.

واجعل اللهم الليل عليّ سترًا من الآفات، والنهار مانعًا من الهلاكات،
واقطع عني قطع لصوصه بقدرتك، واحرسني من وحوشه بقوتك، حتى
تكون السلامة فيه مصاحبتي، والعافية مقاربتني، واليمن سائقي، واليسر
معانقي، والعسر مفارقي، والفوز موافقي، والأمن مرافقي. إنك ذو
الطول والمن والقوة والحول وأنت على كل شيء قدير وعبادك بصير
خبير.

٤) المناجاة بطلب الرزق

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم أرسل عليّ سجال رزقك مداراً، وأمطر عليّ سحائب أفضالك غزاراً، و أدم غيث نيلك إليّ سجّالا، و أسبل مزيد نعمتك عليّ خلتي إسبالاً، وأفقرني بجودك إليك، و أغني عمن يطلب ما لديك، وداوِ داءَ فقري بدواءِ فضلك، وأنعش صرعة عيالي بطولك، وتصدق عليّ إقلالك بكثرة عطائك، وعلى اختلالك بكرم حباتك.

وسهّل-ربّ- سبيل الرزق إليّ، وثبّت قواعده لديّ وبجّس لي عيون سعته برحمتك، و فجر أنهار رغد العيش قبلي برأفتك، وأجذب أرض فقري، وأخصب جذب ضرّي، واصرف عني في الرزق العوائق، و اقطع عني من الضيق العلائق، وارمني من سهم الرزق اللهم بأخصب سهامه، وأحييني من رغد العيش بأكثر دوامه.

واكسني اللهم سراويل السعة وجلايب الدعة.فأني -يا ربّ- منتظرٌ لإنعامك بحذف المضيق، ولتطوّلك التعويق، ولتفضلك بإزالة التقدير، ولوصول حلي بكرمك بالتيسير.

وأمطر -اللهمّ- عليّ سماءَ رزقك بسجال الدم. وأغني بعوائد النعم، وارمِ مقاتل الإقتار منّي، واحمل كشف الضرّ عني على مطايا الإعجال، واضرب عني الضيق بسيف الإستيصال، وأتحفني ربّ منك بسعة الإفضال، وأمددني بنموّ الأموال واحرسني من ضيق الإقلال.

واقبض عني سوء الجذب، وابسط لي بساط الخصب، واسقني من ماء
رزقك غدقاً، واهج لي من عميم بذلك طرقاً، وفاجئني بالثروة والمال،
وأنعشني به من الإقلال وصبحتي بالإستظهار، ومسني من اليسار، إنك
ذو الطول العظيم والفضل العميم والمنّ الجسيم وأنت الجواد الكريم
الملك الغفور الرحيم.

٥) المناجاة بالاستعاذة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أعوذ بك من ملّات نازل البلاء،
وأهوال عظام الضراء، فأعذني -ربّ- من صرعة البأساء، واحجبني
من سطوات البلاء، ونجّني من مفاجاة النقم، وأجرني من زوال النعم،
ومن زلل القدم.

واجعلني -اللهم- في حياطة عزّك، وحفاظ حرزك من مباغته الدوائر
ومعالجة البوادر.

اللهم -ربّ- و أرض البلاء فاحسفها، وعرصه المحن فارجفها، وشمس
النوائب فاكسفها، وجبال السوء فانسفها، وكرب الدهر فاكشفها،
وعوائق الأمور فاصرفها، وأوردني حياض السلامة، واحملي على مطايا
الكرامة، واصحبني بإقالة العثرة، واشملي بستر العورة، وجد عليّ -يا
ربّ- بآلائك وكشفِ بلائك ودفعِ ضرّائك.

وادفع عني كلاك عذابك، واصرف عني أليم عقابك، وأعدني من
بوائق الدهور، وأنقذني من سوء عواقب الأمور، واحرسني من جميع
المخدور، واصدع صفاة البلاء عن أمري، واشلل يده عني مدى عمري،
إنك الربُّ المجيد المبديء المعيد الفعال لما تريد.

٦) المناجاة بطلب التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني قصدتُ بإخلاص توبة نصوح، و
تثبت عقد صحيح، ودعاء قلب فريح، وإعلان قولٍ صريح. اللهم فتقبل
مني مخلص التوبة، وإقبال سريع الأوبة، ومصارع تخشع الحوبة. وقابل -
ربُّ- توبتي بجزيل الثواب، وكريم المآب، وحطَّ العقاب وصرف
العذاب، وغنم الإياب، وستر الحجاب.

وامح- اللهم- ما ثبتَ من ذنوبي، واغسل بقبولها جميعَ عيوبي، واجعلها
جالية لقلبي، شاخصة لبصيرة لبي، غاسلةً لدرني، مطهرةً لنجاسة بدني،
مصححةً فيها ضميري، عاجلةً إلى الوفاء بها بصيرتي. واقل- يا ربُّ-
توبتي، فلأنها تصدر من إخلاص نيتي، ومحضٍ من تصحيح بصيرتي،
واحتفالٍ في طوبتي، واجتهادٍ في نقاء سريرتي، و تثبيتٍ لإنابتي، مسارعةً
إلى أمرك بطاعتي.

و أجل - اللهم- بالتوبة عني ظلمة الإصرار، وأمحُ بها ما قدَّمشهُ من
الأوزار، واكسني لباس التقوى، وجلايب الهدى، فقد خلعتُ ربَّقَ
المعاصي عن جلدي، ونزعتُ سربال الذنوب عن جسدي، متمسكاً -

رَبُّ - بقدرتك، مستعيناً على نفسي بعزتك، مستودعاً تسويتي من
النكت بخفرتك، معتصماً من الخذلان بعصمتك، مقارناً به لا حول ولا
قوة إلا بك.

٧ (المناجاة بطلب الحج

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم ارزقني الحج الذي فرضته على من
استطاع إليه سبيلاً.

واجعل لي فيه هادياً وإليه دليلاً، وقرب لي بُعد المسالك، وأعني على
تأدية المناسك، وحرّم بإحرامي على النار جسدي، وزد للسفر قوتي
وجلدي، وارزقني -رب- الوقوف بين يديك، والإفاضة إليك، وأظفري
بالنجاح بوافر الربح، واصدري -رب- من موقف الحج الأكبر إلى
مزدلفة المشعر.

واجعلها زلفةً إلى رحمتك، وطريقاً إلى جنتك، وقفني موقف المشعر
الحرام، ومقام وقوف الإحرام، وأهلي لتأدية المناسك، ونحر الهدي
التوامك بدم ثبج وأوداج تمج، وإراقة الدماء المسفوحة، والهدايا
المذبوحة، وفري أوداجها على ما أمرت، والتنفل بها كما سمت.
وأحضرني -اللهم- صلاة العيد، راجياً للوعد خائفاً من الوعيد، حالقاً
شعر رأسي ومقصراً ومجتهداً في طاعتك، مشمراً رامياً للجمار بسبع بعد
سبع من الأحجار.

وأدخلني -اللهم- عرضة بيتك وعقوتك ومحل أمنك وكعبتك
ومساكينك وسؤالك ومحاوليك وجد عليّ -اللهم- بوافر الأجر من
الانكفاء والنفر.

واختتم -اللهم- مناسك حجّي، وانقضاء عجّي، بقبول منك لي ورأفة
منك بي، يا أرحم الراحمين يا غفور يا رحيم.

٨) المناجاة بكشف الظلم

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنّ ظلم عبادك قد تمكّن في بلادك، حتى
أمات العدل، وقطع السبيل ومحق الحق وأبطل الصدق وأخفى البرّ وظهر
الشرّ، وأهمل التقوى وأزال الهدى وأزاح الخير وأثبت الضير، وأنمى
الفساد وقوى العناد وبسط الجور وعدى الطور.

اللهم- يا ربّ- لا يكشف ذلك إلا سلطائك، ولا يجير منه إلا امتنانك.
اللهم- ربّ- فابتر الظلم وبثّ جبال الغشم، واحمد سوق المنكر واعزّ
من عنه يترجر واحصد شأفة أهل الجور، وألبسهم الحور بعد الكور.

وعجّل -اللهم- إليهم البيات، وأنزل عليهم المثالات، وأميت حياة
المنكر، ليؤمن المخوف، ويسكن الملهوف، ويشبع الجائع، ويحفظ
الضائع، ويأوى الطريد، ويعود الشريد، ويغنى الفقير، ويجار المستجير،
ويوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويعزّ المظلوم، ويذلّ الظالم، ويفرّج
المغموم، و تنفرج الغمّاء، وتسكن الدهماء، ويموت الاختلاف، ويعلسو

العلم، ويشمل السلم، ويجمع الشتات، ويقوى الإيمان، ويُتلى القرآن،
إنك أنت الديان، المنعم المنان.

٩) المناجاة بالشكر لله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم لك الحمدُ على مرد نوازلِ البلاء، وتوالي
سبوغ النعماء، وملئنا الضراء، وكشف نوائب اللواء.

ولك الحمدُ على هنيء عطائك، ومحمود بلائك، وجميل آلائك. ولك
الحمدُ على إحسانك الكثير، وجودك الغزير، وتكليفك اليسير، ودفع
العسير. ولك الحمدُ - يا ربّ - على تسميرك قليل الشكر، وإعطائك وافر
الأجر، وحطّك مثقل الوزر، وقبولك ضيق العذر، ووضعك باهض
الإصر، وتسهيلك موضع الوعر، ومنك مُفطع الأمر.

ولك الحمد على البلاءِ المصروف، ووافرِ المعروف ودفعِ المخوف وإذلال
العسوف.

ولك الحمد على قلة التكليف، وكثرة التخفيف، وتقوية الضعيف،
وإغاثة اللّهيّف. ولك الحمد على سعة إمهالك، ودوام إفضالك،
وصرف إمحالك، وحميد أفعالك، وتوالي نوالك. ولك الحمدُ على تأخير
معالجة العقاب، وترك مغافصة العذاب، وتسهيل طريق المآب، وإنزال
غيث السحاب، إنك المنان الوهاب.

١٠ المنجاة بطلب الحوائج

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم جديرٌ مَنْ أمرته الدعاء أن يدعوك، ومن وعده بالإجابة أن يرجوك.

وليّ -اللهم- حاجةٌ قد عجزت عنها حيلتي، وكلّت فيها طاقتي، وضعفت عن مرامها قوّتي، ولي نفسي الأمانة بالسوء، وعدوّي الغرور الذي أنا منه مبتلى أن أرغب إلى ضعيفٍ مثلي، ومن هو في النكول شكلي، حتى تداركتني رحمتك وبادرتني -بالتوفيق- رأفتك، ورددت علي عقلي بتطوّلك، وألهمتني رشدي بتفضلك، وأحييت -بالرجاء لك- قلبي، وأزلت خدعة عدوّي عن لّبي، وصححت بالتأميل فكري، وشرحت -بالرجاء لإسعافك- صدري، وصورت لي الفوز ببلوغ ما رجوته، والوصول إلى ما أملت، فوقفت -اللهم ربّ- بين يديك، سائلاً لك ضارعاً إليك، واثقاً بك، متوكّلاً عليك في قضاء حاجتي، وتحقيق أميّتي وتصديق رغبتني. اللهم وأنجحها بأيمن النجاح، وأهدّها سبيل الفلاح. واشرح بالرجاء لإسعافك صدري، ويسّر في أسباب الخير أمري، وصور إليّ الفوز ببلوغ ما رجوته، بالوصول إلى ما أملت.

ووفقني -اللهم- في قضاء حاجتي ببلوغ أميّتي وتصديق رغبتني وأعدني -اللهم- بكرمك من الخيبة والقنوط والأناة والتثييط. اللهم إنك ملّي

بالمنايح الجزيلة، وفيها، وأنت على كل شيء قدير، بعبادك خبيرٌ بصير.^١»

■ و من دعاء له ﷺ في قنوته لمن تولى الأئمة الأطهار:

«اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وقوِّ ضعف المخلصين لك بالمحبة، المشايعين لنا بالموالاة، المتبعين لنا بالتصديق والعمل، الموازين لنا بالمواساة فينا، المحبين ذكرنا عند اجتماعهم. وشدّ اللهم ركنهم، و سدّد لهم اللهم دينهم الذي ارتضيته لهم، وأتمم عليهم نعمتك، وخلصهم واستخلصهم. وسدّ اللهم فقرهم، والمم اللهم شعثَ فاقسهم، واغفر اللهم ذنوبهم وخطاياهم، ولا تُزغ قلوبهم بعد إذ هديتهم، ولا تخلّهم أي ربّ بمعصيتهم. واحفظ لهم ما منحتهم به من الطهارة بولاية أوليائك، والبراءة من أعدائك، إنك سميع مجيب، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.»^٢

■ و من دعاء له ﷺ في القنوت:

«اللهم أنت الأول بلا أولية معدودة، والآخر بلا آخرية محدودة، أنشأتنا لا لعلّة اقتساراً، واخترعتنا لا لحاجة اقتداراً، وابتدعتنا بحكمتك اختياراً، وبلوتنا بأمرك ونهيك اختباراً، وأيدتتنا بالآلات، ومنحتنا بالأدوات،

^١ - البحار ج ٩٤ ص ١١٣-١٢٠، مهج الدعوات ص ٢٥٨، مستدرك العوالم ح ٢٣ ص ٢٢٧.

^٢ - مهج الدعوات ص ٦٥، وص ٨٠.

وكلفتنا الطاقة، وجشمتنا الطاعة، فأمرت تخسيراً، ونهيت تحذيراً،
وخولت كثيراً، وسألت يسيراً، فعصي أمرك، فحلمت، وجُهل قدرك
فتكرمت، فأنت ربُّ العزّة والبهاء والعظمة والكبرياء والإحسان
والنعماء والمنّ والآلاء والمنح والعطاء والإنجاز والوفاء، ولا تحيط القلوب
لك بكنه، ولا تدرك الأوهام لك صفة، ولا يشبهك شيء من خلقك،
ولا يمثل بك شيء من صنعتك، تباركت أن تحس أو تمس أو تدركك
الحواس الخمس، وأنتى يدرك مخلوق خالقه، وتعاليت يا الهي عما يقول
الظالمون علواً كبيراً. اللهم أدل لأوليائك من أعدائك الظالمين الباغين
الناكثين القاسطين المارقين الذين أضلّوا عبادك، وحرّفوا كتابك، وبدّلوا
أحكامك، وجحدوا حقك، وجلسوا مجالس أوليائك جرأة منهم عليك،
وظلماً منهم لأهل بيت نبيك عليهم سلامك وصلواتك ورحمتك
وبركاتك. فضلّوا وأضلّوا خلقك، وهتكوا حجاب سترك عن عبادك،
واتخذوا اللهم مالك دولاً وعبادك خولاً، وتركوا اللهم عالم أرضك في
بكاءٍ عمياءٍ ظلماً مدلهمة، فأعينهم مفتوحة، وقلوبهم عمية، ولم تبق
لهم اللهم عليك من حجةٍ لقد حدرت اللهم عذابك وبينت نكالك،
ووعدت المطيعين إحسانك، وقدمت إليهم بالنذر فأمنت طائفة.

فأيّد اللهم الذين آمنوا على عدوك وعدوّ أوليائك، فاصبحوا ظاهرين
وإلى الحقّ داعين، وللإمام المنتظر القائم بالقسط تابعين، وجدّد اللهم
على أعدائك وأعدائهم نارَك وعذابك الذي لا تدفعه عن القوم
الظالمين. اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد، وقوّ ضعف المخلصين لك

بالحجة، المشايعين لنا بالمولاة، المتبعين لنا بالتصديق والعمل، والموازن لنا بالمواساة فينا، المحيين ذكرنا عند اجتماعهم وشدة اللهم ركنهم، وسدد لهم اللهم دينهم الذي ارتضيته لهم، وأتمم عليهم نعمتك، وخلّصهم واستخلصهم، وسدّ اللهم فقرهم، والمع اللهم شعث فاقتهم، واغفر اللهم ذنوبهم وخطاياهم، ولا تزغ قلوبهم بعد إذ هديتهم، ولا تخلصهم أي ربّ بمعصيتهم، واحفظ لهم ما منحتهم به من الطهارة بولاية أوليائك والبراءة من أعدائك إنك سميع مجيب، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين»^١.

* * *

إنّ موضوع استجابة الدعاء بالنسبة للأئمة عليهم السلام، هو من الأمور المسلّم بها لدى المنصفين ممن استقرأ سيرتهم عليهم السلام. فقد طفحت الكتب بما روي أنهم عليهم السلام ما دعوا بدعاء، و أرادوا منه الإجابة، إلا واستجاب لهم الله سبحانه.

وقد قال الإمام الهادي عليه السلام: «إنّ الله تعالى علم منا أنّا لا نلجأ في المهمّات إلا إليه، ولا نتوكّل في المهمّات إلا عليه، وعودنا-إذا سألناه- الإجابة»^٢.

وهنا أذكر بعض ما ورد في استجابة دعوات الإمام الجواد عليه السلام..

^١ - مهج الدعوات ص ٦٠ .

^٢ - البحار ج ٥٠ ص ١٣٧ .

عن (محمد بن سنان)، قال: دخلتُ على أبي الحسن الهادي، فقال عليه السلام: يا محمد، حَدِّثْ بـ(آل فرج) حدث؟
 فقلت: مات (عمر). فقال عليه السلام: «الحمد لله.»
 يقول (محمد بن سنان): حتى أحصيتُ له عليه السلام أربعاً وعشرين مرة!.
 فقلت: يا سيدي، لو علمتُ أن هذا يسرك، لجئتُ حافياً أعدو إليك.
 قال عليه السلام: «يا محمد، أولاً تدري ما قال -لعنه الله- لمحمد بن علي عليه السلام؟»
 قال: قلت: لا.

قال عليه السلام: «خاطبه في شيء، فقال: أظنك سكران.
 فقال أبي عليه السلام: «اللهم إن كنتَ تعلم أنني أمسيْتُ لك صائماً، فأذقه طعم الحرب، وذُلَّ الأسر.» فوالله ما إن ذهبَت الأيام حتى حُرِبَ ماله، وما كان له. ثم أخذ أسيراً، وهو ذا قد مات لا رحمه الله. وقد أدال الله عزَّ وجل منه، وما زال يُدِيل أوليائه من أعدائه».^١

وروى (محمد بن عمير)، قال: كان يصيبي وجعٌ في خاصرتي في كلِّ أسبوع، ويشتدُّ ذلك بي أياماً.
 فسألته -الإمام الجواد عليه السلام - أن يدعو لي بزواله عني.
 فقال عليه السلام: «وأنت فعافاك الله.»
 -يقول بن عمير-: فما عاد إلى هذه الغاية!^٢

ويقول (عمير الرازي): دخلتُ على أبي جعفر بن الرضا عليه السلام ومعي

^١ - أصول الكافي ج ١ ص ٤٩٦ باب مولد أبي جعفر عليه السلام.

^٢ - كشف الغمّة ج ٣ ص ١٥.

أخي به (بهر)^١ شديد. فشكى إليه ذلك البهر. فقال ﷺ: «عافاك الله مما تشكو.»

يقول: فخرجنا من عنده ﷺ وقد عوفي. فما عاد إليه ذلك البهر إلى أن مات!^٢

وعن (أبي هشام)، قال: دخلتُ معه ﷺ ذات يوم بستاناً، فقلتُ له: جُعلتُ فداك، إني مولع بذكر الطين، فادع الله لي. يقول أبو هشام: فسكتُ. ثم قال ﷺ لي بعد أيام: يا أبا هشام، قد أذهب الله عنك أكل الطين. قلت: فما شيء أبغ إليّ منه.^٣

أقول: إذا كان الله لا يردّ طلب مَنْ عنده بعض علم الكتاب، حيث ذكر سبحانه في قصة سليمان مع بلقيس، بعد ما سأل النبيّ قائلاً: (يا أيها الملأوا آيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين *) قال عفريتٌ من الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقويّ أمين * قال الذي عنده علمٌ من الكتب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك، فلما رآه مستقراً عنده، قال هذا من فضل ربّي ليبلوني، أشكر أم أكفر)^٤

^١ - البهرة هي تتابع النفس.

^٢ - البحار ج ٥، ص ٤٧.

^٣ - الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٦٦٥، وفي الكافي ج ١ ص ٤٩٥.

^٤ - النمل / ٣٧، ٣٨، ٣٩.

فإذا كان الأمر هكذا لمن كان عنده (علمٌ مِنَ الكتاب)¹،
فكيف بالذين عندهم علم الكتاب كله؟

يقول تعالى: (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم وَمَنْ عنده علمُ
الكتاب)²

وقد ورد في تفسير هذه الآية عن الإمام الباقر (عليه السلام): «نزلت في
علي (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفي الأئمة بعده»³

¹ - هو آصف بن برخيا الذي أوصى النبي سليمان إليه، وهو أوصى إلى زكريّا من بعده (راجع
الفتاوى ج ٤ ص ١٧٦).

² - الرعد / ٤٣.

³ - وفي حديث آخر عن (سدير) قال: كنتُ أنا و(أبو بصير) و(يحيى البزاز) و(داود بن كثير -
الرقمي-) في مجلس أبي عبد الله (عليه السلام) إذ خرج علينا.. فقال (عليه السلام): «يا سدير، ألم تقرأ القرآن؟» قلت:
بلى.

قال (عليه السلام): «فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل؟» (قال الذي عنده علم من
الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك؟) قال: قلت: جعلتُ فداك قد قرأته. قال (عليه السلام):
«فهل عرفت الرجل، وهل علمت ما كان عنده علم الكتاب؟» قال: قلت: أخبرني به. قال
(عليه السلام): «قدر فطرة من الماء في البحر، فما ذاك من علم الكتاب؟» قال: قلت: جعلتُ فداك، ما
أقل هذا! قال: فقال (عليه السلام): «يا سدير، ما أكثر هذا أن ينسبه الله عز وجل أيضاً: (قل كفى بالله
شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)؟» قال: قلت: قد قرأته جعلتُ فداك. فقال (عليه السلام):
«فمن عنده علم الكتاب كله أفهم، أم من عنده علم الكتاب بعضه؟»

قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كله، قال: فأومى (عليه السلام) بيده إلى صدره وقال: «علمُ الكتاب
والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا». (تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٥٢٣)

«٧»

زواج الإمام الجواد

أم الفضل (زينب بنت المأمون)

عندما جاء الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد -بعد أن طلبه المأمون إليها في دعوة رسمية-، استقبله مع وفده الملوكي استقبالا حافلا مهيبا. وكان المأمون قد نوى من دعوة الإمام عليه السلام أن يزوجه من ابنته (زينب). فعرض على أعوانه وأهله من بني العباس فكرته في تزويج ابنته إياه عليه السلام، لكنهم قامت قيامتهم في معارضتهم إياه، ولم يشاطروه في الرأي، -وكانوا في ذلك اليوم ثلاثاً وثلاثين ألفاً!-. والسبب أنهم خافوا على الخلافة، من أن تزوي عنهم إلى بني فاطمة.. ولكنهم لم يفهموا دهاء المأمون، ولم يعلموا سرّ فكرته. فظنوا أنه إذا تمّ الزواج، فسوف يتقلص نفوذهم وتضعف إمكانياتهم. ولهذا قاموا وقعدوا وبذلوا محاولات كثيرة للحيلولة دون هذا الأمر. وبقي الأمر هكذا، إلى أن اتفقت كلمتهم على امتحان الإمام عليه السلام في مسألة يحيى بن أكثم التميمي^١. ولما سئل الإمام فأجاب بالردّ المُنْع، رضوا بالأمر وقبلوا التزويج..

^١ - مرّ الكلام فيما ما جرى بين العباسيين ويحيى، وبين الإمام عليه السلام في باب علومه عليه السلام.

وهناك قال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي.
ثم أدار طرفه، وتوجه نحو من استنكر فكرته من قبل قائلًا:
أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟

و أقبل على أبي جعفر الجواد عليه السلام فقال: أخطب يا أبا جعفر؟
قال عليه السلام: «نعم..»

فقال له المأمون: أخطب لنفسك أم الفضل.

فقال أبو جعفر عليه السلام:

«الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحديته، وصلى الله
على محمد سيد برّيته والأصفياء من عترته.»

«أما بعد، فقد كان من فضل الله على الأنام، أن أغناهم بالحلال عن
الحرام، وقال سبحانه: (أنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم
وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم)»^١ ثم
إنّ محمد بن علي بن موسى، يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون.
وقد بذل لها من الصداق، مهر جدّته فاطمة عليها السلام بنت محمد عليه السلام، وهو
خمسمائة درهم جياداً. فهل زوجته - يا أمير المؤمنين - بما على هذا
الصداق المذكور؟ فقال المأمون: نعم، قد زوجتك - يا أبا جعفر - أم
الفضل ابنتي على الصداق المذكور. فهل قبلت النكاح؟ فقال أبو
جعفر عليه السلام: «قد قبلت ذلك ورضيتُ به.»^٢

^١ - سورة النور / ٣٢.

^٢ - روضة الواعظين ص ٢٠٥.

ثم أمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم من الخاصة والعامة.
قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في
محاوراتهم. فإذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضة، مشدودة بالحبال
من الأبريسم، على عجلة مملوءة من الغالية^١.

ثم أمر المأمون أن تخضب لحاء الخاصة من تلك الغالية. ثم مدت
إلى دار العامة، فتطّبوا منها ووُضعت الموائد، فأكل الناس. وأخرجوا
الجوائز إلى كل قوم على قدرهم.

فلما تفرّق الناس، وبقي من الخاصة من بقي، سأل المأمون أن يجيب^٢
على تلك التفرّيعات، فأجابه.

ثم قال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر، أحسن الله إليك. فإن
رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟

فقال أبو جعفر: «أخبرني عن رجلٍ نظر إلى امرأة في أول النهار،
فكان نظره إليها حراماً عليه.

فلما ارتفع النهار حلّت له.

فلما زالت الشمس، حرمت عليه.

فلما كان وقت العصر، حلّت له.

فلما غربت الشمس حرمت عليه.

فلما دخل وقتُ العشاء الآخرة حلّت له.

^١ - نوع من العطر.

^٢ - قد مرّ ذلك مفصلاً فراجع.

فلَمَّا كَانَ وَقْتُ انْتِصَافِ اللَّيْلِ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ.
فلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ حَلَّتْ لَهُ، مَا حَالُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ؟ وَمَاذَا حَلَّتْ لَهُ وَحُرِّمَتْ
عَلَيْهِ؟»

فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَهْتَدِي إِلَى جَوَابِ هَذَا
السُّؤَالِ، وَلَا أَعْرِفُ الْوَجْهَ فِيهِ!!، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَفِيدَنَا.
فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «هَذِهِ أُمَّةٌ لِرَجُلٍ مِنَ النَّاسِ، نَظَرَ إِلَيْهَا
أَجْنَبِيٌّ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَكَانَ نَظَرُهُ إِلَيْهَا حَرَامًا عَلَيْهِ.
فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ ابْتَاعَهَا مِنْ مَوْلَاهَا^١ فَحَلَّتْ لَهُ.
فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الظُّهْرِ، أَعْتَقَهَا فَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ.
فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ تَزَوَّجَهَا، فَحَلَّتْ لَهُ.
فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْمَغْرِبِ، ظَاهَرَ مِنْهَا فَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ.^٢
فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، كَفَّرَ عَنِ الظُّهَارِ، فَحَلَّتْ لَهُ.
فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ، طَلَّقَهَا وَاحِدَةً، فَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ.
فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْفَجْرِ رَاجِعَهَا فَحَلَّتْ لَهُ.»

فَمَضَى الْمَأْمُونُ بِمَدْحِ الْإِمَامِ عليه السلام وَيَذَكْرِ فَضَائِلِهِ!^٣
وَأُورِدَ ابْنُ شَهْرٍ أَشُوبٌ مُوقِفًا لِلْإِمَامِ عليه السلام، وَقِيلَ أَنَّهُ كَانَ
السَّبَبَ الرَّئِيسِيَّ لِتَزْوِيجِ الْمَأْمُونِ الْإِمَامَ عليه السلام مِنْ ابْنَتِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ: (اجْتَنَازُ

^١ - ابْتَاعَهَا أَيُّ: اشْتَرَاهَا.

^٢ - أَيُّ قَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي.

^٣ - الْبَحَارُ ج ٥٠ ص ٧٣، ٧٩ نَقْلًا عَنِ الْاِحْتِجَاجِ ص ٢٢٧.

المأمونُ بابن الرضا عليه السلام، وهو بين الصبيان، فهربوا سواه عليه السلام، فقال المأمون: عليّ به.

- فلما جاءوا به - قال له: مالك ما هربت؟

قال عليه السلام: «مالي ذنبٌ فأفرّ، ولا الطريق ضيقٌ فأوسّعه عليك. مُر من حيث شئت.»

فقال المأمون: مَنْ تكون؟

قال عليه السلام له: «أنا محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب.»

فترحم الخليفة على أبيه، وساق جواده إلى نحو وجهته.

وكان معه بزاة الصيد. فلما بُعد عن العمارة، أخذ المأمون بازياً منها، وأرسل على درّاجة، فغاب البازي عنه قليلاً، ثم عاد، وقد صاد حيّة. فوضع المأمون الحيّة في بيت الطعم..

ولما عاد ابن الرضا عليه السلام في جملة الصبيان، قال: ما عندكم من أخبار السماوات؟

فقال عليه السلام: «نعم يا أمير، حدّثني أبي عن أبيه عن النبيّ عن جبرائيل عن ربّ العالمين أنّه قال: «بين السماء والأرض بحر عجاج يتلاطم به الأمواج، فيه حَيّات خضر البطون، رقط الظهور، يصيدها الملوك بالبزاة الشهب، يمتحن به العلماء.»

فقال: صدقتَ وصدقَ جدّك وصدقَ ربّك. فأركبهُ وزوّجه.^١

وفي رواية: (..عاد البازي، وفي منقاره سمكة صغيرة..فسأل المأمون الإمام: ما في يدي؟

فقال الإمام عليه السلام: «إنّ الله تعالى خلق في بحر قدرته، المستمسك في الجوّ ببديع حكمته، سمكاً صغيراً. فصاد منها بزاة الخلفاء، كي يختبر بها سلالة بيت المصطفى.»

فلما سمع المأمون كلامه، تعجّب منه وأكثر، وجعل يطيل فيه، وقال: أنت ابن الرضا حقاً، ومن بيت المصطفى صدقاً.

وأخذه معه، وأحسن إليه، وقرّبه، وبالغ في إكرامه وإجلاله وإعظامه..^٢ فتزوّج الإمام بأمّ الفضل، وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر.^٣

وقد يحول السؤال التالي في الأذهان، وهو: لماذا قبل الإمام عليه السلام تزويجه مع بنت المأمون، وصار صهراً للخليفة، والحال أنّ المأمون كان غاصباً لحقه عليه السلام وكان قد قتل الرضا عليه السلام من قبل؟

أولاً: الأمر كان خارجاً عن اختيار الإمام عليه السلام. فهل يصعب على قاتل أبيه أن يلحقه بأبيه؟ ثم هل يسعد للإمام عليه السلام العيش بين أعدائه الألداء، وحساده الظّلّة! ولكن لما كانت حياته مهدّدة بالقتل، وافق على الزواج، كي يمنع المأمون من أن يغتاله وآله.

^١ - مدينة المعاجز ص ٥٣٣، وفي البحار بنفس المضمون.

^٢ - الفصول المهمّة ص ٢٦٦.

^٣ - الإرشاد ص ٣١٩.

وكان الإمام يعبر عن ضيق صدره بتلك الوضعية المؤلمة التي كان يعيش فيها بين المأمون ومن لفّ لفّه، بل كان يرى الموت له هو الفرج، كما روي عنه أنّه قال: «الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً»^١

ثانياً: زواج الإمام (عليه السلام) من بنت الخليفة، ضيق على الخليفة نفسه سلطنته في الفتك على أصحاب الإمام وشيعته، من قتلهم أو سجنهم أو ما شابه.

وهذا -بحدّ ذاته- كان سبباً لازدياد موالي الإمام (عليه السلام) والمائلين إليه...

٢

سمانة المغربية (أمّ الإمام الهادي (عليه السلام))

لم يرزق إمامنا الجواد (عليه السلام) ولداً من زوجته الأولى أمّ الفضل، لأنّها كانت عاقراً لا تلد.

فمضت السنون ولم يكن (عليه السلام) قد رُزق الذريّة. وذلك لحكمة قدّرها الله. ولعلّ منها ألاّ ينتهز المأمون الفرصة، ويدّعي أنّ الأئمّة من ولده لتكون له شرعيّة الخلافة. ولأنّ ربّنا شاء أن يجعل الأئمّة من أصلاب طاهرين، إلى أرحام نقيّات مطهّرات، من لم يخالطهم نجس الشرك والنفاق، أي

^١ - البحار ج ٥، ص ٦٤. ويقول الراوي: فنظرنا، فمات (عليه السلام) بعد ثلاثين شهراً.

ممن أذهب الله عنهم رجس الجاهلية، فلم تنجسهم بأنجاسها، ولم تلبسهم من مدلهجات ثيابها..

فلما علم الإمام أن أم الفضل ليست فيها المؤهلات في أن تكون والددة حجة الله، وليست متوفرة فيها شروط أمّهات الأئمة، حينئذ تزوّج ❀ بـ(سمانة) المغربية، الراجع نسبها إلى عمّار بن ياسر الصحابي (وقيل إلى مارية القبطية)..

وقد روي عن الإمام الهادي ❀، أنه قال في حقّ أمّه (سمانة):
«أمّي عارفة بحقّي، وهي من أهل الجنة، ما يقربها شيطان مريد، ولا ينالها كيد جبار عنيد. وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلف عن أمّهات الصديقين والصالحين.»^١

وكانت زوجة الإمام الأولى (أم الفضل) تلتهب غيرة وحسداً من (سمانة) لما صرّحت به لأبيها و لـ(حكيمه) وغيرهما. حتى قيل أن السبب الذي دفعها لقتل الإمام الجواد ❀ كان زواجه ❀ من سمانة!.

* * *

ومن هذه المرأة الجليلة (سمانة) رزق الله الإمام ❀ ولدين: الإمام الهادي ❀، ومن بعده: (موسى) المعروف بـ(المبرقع)، وهو الذي ينتهي نسب السادة الرضويين إليه.

^١ - إثبات الوصية: ص ٢٢٨، دلائل الإمامة: ص ٤١٠، مدينة المعاجز: ج ٧ ص ٤٢٠.

كان موسى حَسَنَ الوجه، جميل الصورة. وسبب تسميته
بالـ(مبرقع) لأنَّ الناس كانوا يطيلون النظر إليه، فكان (يرقع
وجهه)^١ حتى يستريح من كثرة نظر الناس إليه.
وموسى هو أوَّل مَنْ انتقل من الكوفة إلى (قُم) من السادات الرضويَّة في
سنة ٢٥٦هـ.

وتوفِّي سنة ٢٩٦^٢، في داره بقُم^٣..
وقد أفرد المحدث النوري في أحواله رسالة سَمَّاهَا: (البدر
المشعشع في أحوال موسى المبرقع)^٤.

* * *

وكان الإمام الجواد عليه السلام يلاطف ولديه. ويشبه الإمام الهادي عليه السلام
بنفسه، وموسى بأمّه.
فإنّه لما أراد عليه السلام الخروج من المدينة إلى العراق ومعاودتها، أجلس أبا
الحسن عليه السلام في حجره - بعد النصّ عليه -، وقال عليه السلام:
«ما الذي تحبّ أن أهدي إليك من طرائف العراق؟»
فقال عليه السلام: «سيفاً كأنه شعلة نار»
ثمّ التفت عليه السلام إلى موسى ابنه، وقال له: «ما تحبّ أنت؟»

^١ - البرقع: هو شيء يُستَر به الوجه، وفيه ثقبان أمام العينين للرؤية.

^٢ - البحار ج ٥٠ ص ١٦٠

^٣ - البحار ج ٥٠ ص ١٥

^٤ - راجع تحف العقول ص ٤٧٦

فقال: فرس.

فقال-أبو جعفر-: ﴿أشبهني أبو الحسن﴾، وأشبه هذا أمه.^١

* * *

وأعطى الله الإمام الجواد عليه السلام من أمّ الإمام الهادي بناتاً أيضاً.
ولكن اختلف في عددهنّ، ف قيل اثنتين: (فاطمة وأمامة).^٢ وقيل ثلاثة:
(حكيمه و خديجة وأم كلثوم).^٣ وقيل أربع: (فاطمة و خديجة و أم
كلثوم و حكيمه).^٤

أمّا السيّدة حكيمه، فهي التي كان لها دور القابلة في ولادة الإمام
المهدي المنتظر عليه السلام، وهي التي روت حرز الإمام الجواد عليه السلام،^٥ وتوفيت
في مدينة سامراء ودُفنت في جوار أخيها الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

وفي البحار: كنّ -بنات الإمام- ثلاثة: زينب وأمّ محمّد
وميمونة. توفين في قم، ودفنهنّ موسى المبرقع عند فاطمة المعصومة.^٦

^١ - عيون المعجزات: ص ١٣٣

^٢ - قول الشيخ المفيد في (الإرشاد).

^٣ - ابن شهر آشوب في (المناقب).

^٤ - ضامن بن شدقم في (تحفة الأزهار في ذكر نسب أولاد الأئمة الأطهار).

^٥ - إكمال الدين ص ٤٢٤ ح ١

^٦ - والحرز هو: « يا نورُ يا برهان، يا مبينُ يا منير، يا ربّ اكفني الشرور وآفات الدّهور،

وأسألك النجاة يوم يُنفخ في الصور. » (مفاتيح الجنان ص ١٠٩٥ - دار الأضواء).

^٧ - البحار ج ٥٠ ص ١٦١

وأما التفصيل في حياتهن، فقد سكت التاريخ عن ترجمة ذلك.
ومن أزواجهن وأولادهن وما شابه؟. وهناك قول مشكوك فيه بأنهن لم
يتزوجن^١ لأسباب مجهولة..

^١ - راجع كتاب حياة أولي النهى \ الإمام الجواد عليه السلام ص ٥٦.

«٨»

في عصر

المعتصم العباسي

قضى الإمام الجواد عليه السلام أكثر عمره، - كما يقول المؤرخون - في بغداد. وكان المسلمون يقدون إليه من شرق الأرض وغربها، ليأخذوا من علمه وينهلوا من فيضه، إلا أن الإمام عليه السلام لم يكن يرضيه التسعم في قصور العباسيين، ولكن أوامر المأمون هي التي أجبرته على أن يقيم فيها مضطهداً..

يقول (حسين المكارمي):

دخلت عليه عليه السلام في بغداد، ففكرت فيما به عليه السلام من نعم. وقلت في نفسي: (إنّ هذا الرجل - يعني الإمام - لا يرجع إلى موطنه أبداً). فأطرق عليه رأسه، ثم رفعه، وقد اصفرّ لونه، فقال عليه السلام: «يا حسين، خبز شعير وملح جريش في حرم رسول الله صلى الله عليه وآله أحبّ إليّ مما تراني فيه.»^١ وما أن لاحت أوّل فرصة للإمام الجواد عليه السلام، تراه يقفل راجعاً إلى المدينة، بعد أن أذن له المأمون إلى الحجّ..

فسار عليه السلام عن طريق الكوفة.. فشيعته الشيعة، واستقبلوه استقبالاً حافلاً. ثم ودّعهم وودّعوه. ومضى إلى المدينة المنورة..

* * *

^١ - بحار الأنوار ج ١٢ ص ١١٠.

وحيثما وصل ﷺ إلى المدينة، كان قد آن أوان هلاك

المأمون.. إلى حيث مأوى قتلة الأئمة: النار وبئس المصير.

فمات في (البدندون)^١ في شهر رجب عام ٢١٨، ودُفن فيها

بعد أن أوصى إلى أخيه المعتصم بالتصدي للرئاسة بعده..

* * *

كان المأمون يمتاز عن أسلافه بثقافة مشفوعة بالدهاء والذكاء.

وسياسة مرادفة للشيطنة والنفاق.. فكان ذكياً في خداعه ومكره، بحيث

التبس أمره على أهل زمانه، بل وحتى الأزمنة التي تأخرت عنه إلى يومنا

هذا^٢

أما المعتصم (محمد بن هارون الرشيد)، ثامن خلفاء بني

العباس.. فإنه خرج نافجاً حزينه، أكلاً الحقوق أكلاً لما. وكان قد أخبر

عنه الإمام أمير المؤمنين ﷺ بقوله: «وثامنهم كلبهم».

راح هذا الرجل يوطد حكمه بكل ما استطاع من قوة. فلم

يقصّر في الترف والبذخ والكبرياء، حتى وصل إلى درجة لم يسبقه إليها

أسلافه..

^١ - و قيل أنه المأمون مات في قرية من نواحي (طرطوس)، وهي قرية على الحدود الفاصلة بين الدولة الإسلامية والدولة الرومانية.

^٢ - فترى البعض يحسن الظن به، بل ويعتبره من الشيعة استناداً على كلام منقول عنه أنه قال: أعلمت كيف تشيعت؟. ولكنه، للكفر أقرب منه للإيمان، لأن التشيع توفيق لا يناله خليفة غاصب لحق الإمامة.

حتى أنه عندما مات، ترك (ثمانية آلاف ألف دينار، وثمانية
عشر ألف ألف درهم، وثمانين ألف من الخيل، وثمانين ألف من الجمال
والبغال، وثمانية آلاف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وقد قتل من الناس
عشرات الآلاف!)^١

وقد ذكر دعبل الخزاعي أبياتاً فيه، يقول:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة	ولم يأتنا من ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف، في الكهف سبعة	غداة ثوروا فيها وثمانهم كلب
وإني لأزهي كلبهم عنك رغبة	لأنك ذو ذنب و ليس له ذنسب
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم	وصيف و(أشناس) وقد عظم الكرب
و(فضل بن مروان) يسلم ثلثة	يظل لها الإسلام، ليس له شعب
وإني لأرجوا أن ترى من مغبتها	مطالع شمس يغص بها الشرب ^٢

* * *

وكانت حكومة المعتصم في بغداد أيضاً. ففكر في أن الإمام
الجواد عليه السلام هو صهر الحاكم الراحل، وسيد أهل البيت العلوي، وإمام
الشيعه وقائدهم - وهم قوة هائلة معلنة الولاء له عليه السلام على رؤوس

^١ - راجع كتاب الإمام الجواد من المهد إلى اللحد.

^٢ - كان وزيراً للمعتصم عامياً، لا علم له، ردي السيرة جهولاً بالأمور. (الأدب السلطانية

للفخري ص ١٧٤)

^٣ - الأغاني ج ١٨ ص ٤٠.

الأشهاد-، فخاف على نفسه وحكومته. فأشخص الإمام من المدينة إلى بغداد، كي يكون ﷺ تحت أنظاره الشخصية.

وخرج الإمام (ليلة الثالث من محرم الحرام سنة ٢٢٠) وهو يعلم أن رحلته هذه لا رجعة فيها.

يقول أحدهم: لما خرج أبو جعفر ﷺ من المدينة إلى بغداد، (في المرة الأولى وفي زمن المأمون) قلتُ له عند خروجه: جُعِلْتُ فداك، إنني أخاف عليك في هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟
يقول الراوي: فكر ﷺ بوجهه إليّ ضاحكاً، وقال: «ليس حيث ظننت في هذه السنة.»

يقول: فلما أخرج به الثانية إلى المعتصم، صرتُ إليه، فقلتُ له: جُعِلْتُ فداك، أنت خارج، فإلى من الأمر من بعدك؟
فبكى ﷺ حتى اخضلت لحيته، ثم التفت إليّ، فقال ﷺ: «عند هذه يخاف عليّ، الأمر بعدي إلى ابني علي.»^١
وفي حديث آخر، أن الإمام ﷺ خرج من المدينة وهو يقول: «ما أطيبك يا طيبة! فلستُ بعائد إليك.»^٢

^١ - الكافي ج ١ ص ٣٢٣ .

^٢ - الثاقب في المناقب ص ٥١٦ ح ٤٤٤ .

«۹»

وینے بغداد . .

دخل الإمام الجواد عليه السلام بغداد يوم ٢٨ من محرّم الحرام.

أمّا ما جرى في تلك العاصمة في تلك السفارة، فإنني لم أجسد -خلال إطلاعي القاصر-، إلا القليل من الروايات حول ما جرى وحصل، وماذا قال الإمام الجواد عليه السلام وماذا فعل.. وأظنّ أنّ سبب ذلك هو ثلاث أمور أساسية:

الأول: لأنّ مرّة التاريخ والسلطات الجائرة محتها وأحرقتها وألقتها في الأنهار والبحار، ثمّ صنّفت ما جرى على حسب مزاجها وبنفعها. ومن أجله لم تذكر مواقف الإمام ومقولاته لما كان يضرّ بدنياها، ويظهر دفائن ديدنها، وذلك في كلّ مكان أمكنها الحذف أو التبديل، وخصوصاً في مدينة بغداد، حيث كانت مقرّ النظام الحاكم، و محطّ رحل أعوان السلطة والمائلين إليهم.

الثاني: لأنّ الإمام الجواد عليه السلام (كان رهن الإقامة الجبريّة في داره في بغداد، ولم يكن بمقدوره الخروج).^١

^١ - وفاة الإمام الجواد للمقرّم ص ٦٥

الثالث: لقلة بقاء الإمام عليه السلام في تلك المدينة في المرة الأخيرة، حيث إنه دخلها في ٢٨ من محرم، وإلى ٢٩ من ذي القعدة من نفس تلك السنة، حيث استشهد فيها. وإليك بعض الحوادث التي جرت من النزر اليسير الذي وصل إلينا عنه عليه السلام هناك..

■ قال (أحمد بن أبي دؤاد)^١: إن سارقاً أقرّ على نفسه وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء وأحضر محمد بن علي عليه السلام فسألنا المعتصم عن القطع في أيّ موضع يجب؟ فقلت: الكر سوع.^٢

فقال المعتصم: وما الحجّة في ذلك؟ فقلت: لأنّ اليد هي الأصابع، والكفّ إلى الكر سوع، يقول الله تعالى في التيمّم: (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم). واتفق معي على ذلك قوم. وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق لأنّ الله تعالى لما قال: (وأيديكم إلى المرافق) دلّ على أنّ حدّ اليد هو المرفق. فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال عليه السلام: «قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين» قال: دعني مما تكلموا به، أيّ شيء عندك؟

^١ - أحمد بن أبي دؤاد: قاضي القضاة عيّن من قبل المعتصم. وفي بعض النسخ: أبي داود وهو تصحيف.

^٢ - الكر سوع: هو طرف الزند الثاني مما يلي الخنصر.

قال ﷺ: «اعفني من هذا»

قال: أقسمتُ عليك بالله لما أخبرتَ بما عندك فيه.

فقال ﷺ: «أما إذا أقسمتَ عليّ بالله، فإني أقولُ: إنهم اخطئوا فيه السنة فإنّ القطع يجب أن يكون عن مفصل أصول الأصابع فيترك الكفّ.»

قال: وما الحجّة في ذلك؟

قال ﷺ: «قول رسول الله ﷺ: «السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين» فإذا قطعت يده من الكرّسوع أو المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها. وقال الله تعالى: (وإنّ المساجد لله) يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وما كان لله لم يقطع.» فأعجب المعتصم بذلك وأمر يقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ.^١

* *

■ عن (جعفر بن محمد بن مزيد) قال: كنتُ ببغداد، فقال لي (محمد بن منذر): هل لك أن أدخلك على محمد بن علي الرضا رضي الله عنهما؟
فقلت: نعم. فأدخّلني عليه، فسلمنا وجلسنا.

^١ - أعيان الشيعة ٤/ق ٣ / ٣٥٠.

فقال له: حديث رسول الله ﷺ: «إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا، فَحَرَّمَ اللَّهُ ذَرْيَتَهَا عَلَى النَّارِ»؟

قال ﷺ: «خَاصٌّ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.»^١

* *

■ عن (أحمد الخاقاني)، قال: (قُطِعَ الطريق بـ(جلولا) على السابلة^٢، من الحجاج وغيرهم، وافلت القطاع، وطلبهم العامل حتى ظفر بهم. ثم كتب بذلك إلى المعتصم، فجمع الفقهاء و(ابن أبي دؤاد)، ثم سأل الآخرين عن الحكم فيهم، وأبو جعفر محمد بن علي الرضا ﷺ حاضر.

فقالوا: قد سبق حكم الله فيهم في قوله: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) ولأمير المؤمنين أن يحكم بأيّ ذلك شاء.

فالتفت إلى أبي جعفر ﷺ وقال: أخبرني بما عندك؟

قال ﷺ: «إِنَّهُمْ قَدْ أَضَلُّوا فِيمَا أَفْتَوْا بِهِ. وَالَّذِي يَجِبُ فِي ذَلِكَ، أَنْ يَنْظُرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَوْلَاءِ الَّذِينَ قَطَعُوا الطَّرِيقَ، فَإِنْ كَانُوا أَخَافُوا السَّبِيلَ فَقَطْ، وَلَمْ يَقْتُلُوا أَحَدًا وَلَمْ يَأْخُذُوا مَالًا، أَمَرَ بِإِيْدَاعِهِمُ الْحَبْسَ،

^١ - الأئمة الإثني عشر ص ١٠٤.

^٢ - السابلة: أبناء السبيل، المختلفون على الطرق في حوائجهم. (لسان العرب ج ١١ ص ٣١٩)

فإنّ ذلك معنى نفّهم من الأرض بإخافتهم السبيل. وإنّ كانوا أخافوا وقتلوا النفس، أمر بقتلهم. وإنّ كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس وأخذوا المال، أمر بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم بعد ذلك.»

فكتب إلى العامل بأن يمثل ذلك فيهم.^١

وهت (أبو دؤاد) و(جعفر بن المأمون)، و المعتصم حينما ظهر حكم الله على لسان الإمام (عليه السلام)، فأضحوا مخزيين مدحورين، بعد ما افترروا وامتروا واختلقوا ما ينبوا عنه الدين..

ولما رأوا أنّ ذلك الدين، هو الحقّ الذي لن ينطمس مهما رموه بسهام البغض والضعينة، ولن ينطفئ مهما حاربوه بالسنتهم، ولن يترهق مهما جاعوا بالباطل، وأنّ مكرهم لن يهزّ عروش الحق في شيء.. لما استيقنوا بذلك كلّهم، لجئوا إلى آخر ما في جعبتهم: قتل الإمام الجواد (عليه السلام) ! فصمّموا على اغتياله (عليه السلام) بأمر المعتصم..

وقد نظم الشيخ جعفر النقدي -لله دَرَه وعلى الله برّه- في أولئك الجناة أبياتاً، فيها يقول:

و ما ارتدعوا (بنو العبّاس) عمّا قلوبهم حوثه من عناد
فساموه الأذى حسداً بيغي لهم قد فاق شراً بغي (عاد)

^١ - وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٥٣٦ .

و دسّ لقتله سَمّاً دُعافاً
فأغضب ربّه فيما جناهُ
وبات الطُّهر ، والأحشاء منه
كأنّ فواده، و السُّمُّ فيه
تُقلّبه الشجون على بساطٍ

زنيّم ، ليس يؤمن بالمعادِ
وأرضى (أحدَ بن أبي دؤادِ)
ها نارُ الأسى ذات إِتقادِ
تقطّعه ظبي بيضٍ حدادِ
من الأسقام، دامي القلبِ صادي¹

¹ - حياة أولي النهى ص ٢٦٠.

« ١٠ »

وكان دور الشهادة . .

لم يزل المعتصم العباسي، منذ أن نزا على كرسيّ الخلافة، يدبّر المؤامرة لقتل الإمام الجواد عليه السلام، وذلك بالمشاركة مع ابن أخيه (جعفر بن المأمون). حيث كانا يعلمان أنّ ذلك الموقع ليس حقّاً من حقوق بني العباس على الإطلاق. وأنّ الخلافة ليست إليهم تعود. وأنّ اليد الحاكمة، هي ليست يد حق، بل هي يد غضب..

ولكنّهم، لكي يصادروا الحقوق، و يحجبوا الحقائق، دبّروا قتل الإمام عليه السلام، حتى يقطوا دابر الإمامة، وحتى تنطوي دنياهم بدون صاحب حقّ الخلافة، وثائر لله على طغيانهم، وقائم يطلب من يبغي على الأرض الفساد.

والإمام الجواد عليه السلام، بدوره، كان يعلم نوايا القوم..لن يبرد غليلهم إلا بعد قتله، كما لم يُشف صدور أسلافهم إلا بعدما قتلوا أباه عليه السلام، لكنّه صبر على بلاء الله ليوفّيه أجور آبائه الصابرين. ولذا ورد في الحديث عن (محمد بن الفرّج) قال: كتبَ إليّ أبو جعفر عليه السلام: «احملوا إليّ الخمس، فإنّي لستُ آخذه منكم سوى عامي هذا.»^١

* * *

^١ - مدينة المعاجز ج ٧ ص ٤٠١.

أما كيفية الوفاة، فإنَّ الإمام عليه السلام بالطبع لم يمت حتف أنفه، ولم يذكر أحدٌ من المؤرخين أنَّ الإمام أصيب بمرض أو داءٍ عضالٍ أودى بحياته. بل قد اتفقت كلماتهم على أنَّ الإمام الجواد عليه السلام قضى نحبه مسموماً، وأنَّ المعتصم كان وراء تلك الجريمة النكراء.. ولكنهم اختلفوا في كيفية مقتله -روحي فداه-..

فمن قائل (مثل الشيخ المفيد في إحدى رواياته): أنه عليه السلام بقي بالمدينة إلى أواخر شهر محرم الحرام من سنة ٢٢٠هـ، وتوفي في ذي القعدة من تلك السنة. وذكر أنَّ ابن أبي دؤاد حينما رأى أنَّ المعتصم لم يأخذ برأيه، وحكم برأي الإمام عليه السلام، قال آنذاك: فقامت قيامتي، وتمَّيتُ أني لم أكن حياً. ثمَّ صرتُ إلى المعتصم بعد ثلاث أيام، وقلْتُ: إنَّ نصيحة أمير المؤمنين واجبة، وأنا أكلمه بما أعلم أني أدخل النار به.

فقال المعتصم: وما هو ؟

قلت: إذا جمع أميرُ المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلمائهم، لأمر وقع من أمور الدين، وسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم، وقد حضر مجلسه قواده ووزراؤه وكُتَّابه، وقد تسامع الناس ذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدعون أنَّه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء!!

قال بن أبي دؤاد: فتغيَّر لونه، وتنبَّه لما نبَّهته له.

فقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً.

قال: فأمر في اليوم الرابع فلاناً من كتاب وزرائه أن يدعوا الجواد عليه السلام إلى منزله. فدعاه، فأبى عليه السلام أن يجيبه، وقال عليه السلام: «لقد علمت أنني لا أحضر مجالسكم.»

فقال: إنما أدعوك إلى الطعام، وأحب أن تطأ ثيابي، وتدخل منزلي فأتبرك بذلك، فقد أحب فلان بن فلان - من وزراء المعتصم - لقاءك. فسار عليه السلام إليه.. ودس إليه السم في الطعام، فلما طعم عليه السلام، أحس بالسم، فدعى بدابته، فسأله رب المنزل أن يقيم، فقال عليه السلام: «خروجي من منزلك خير لك.»

فلم يزل يومه ذاك وليلته يجود بنفسه عليه السلام والسم يسري في بدنه حتى قبض.^١

هذا على إحدى الروايات، وفي رواية أخرى: أن المعتصم دعا بعض وزرائه، وأمرهم بأن يستشهدوا على محمد بن علي الجواد عليه السلام بأنه أراد أن يخرج عليه بثورة يفجرها مع تابعيه من الشيعة الإمامية - وذلك لكي يسهل عليه أن يلقي به السجن أو يقتله قتلاً. فلما أحضر الإمام عليه السلام، التفت المعتصم إليه قائلاً: إنك أردت أن تخرج علي؟!

فقال الإمام عليه السلام: «والله ما فعلت شيئاً من ذلك.» قال المعتصم: إن فلاناً وفلاناً شهدوا عليك.

^١ - النبي وأهل بيته (ع) ج ٢ ص ٢٣٧ ط بيروت نقلاً عن البحار ج ٥ ص ٥. وراجع كتاب: حياة أولي النهى للحكيمي الحائري (ره)

فأحضروا، فقالوا: نعم، هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك.
قال الراوي: وكان جالساً في (هو) ^١، فرفع أبو جعفر عليه السلام يده وقال:
«اللهم إن كانوا كذبوا عليّ فخذهم.»
-يقول-: فنظرنا إلى ذلك البهو كيف يرجف ويذهب ويحيى، وكلمنا
قام واحداً وقع.

فقال المعتصم: يا بن رسول الله، إني تائب مما فعلت، فأدع ربك أن
يسكنه!

فقال عليه السلام: «اللهم سكنه، إنك تعلم أنهم أعداؤك وأعدائي.» فسكن ^٢.
وفي المناقب: (لما بويع المعتصم، جعل يتفقد أحواله - أحوال
الإمام الجواد عليه السلام -، فكتب إلى عبد الملك الزيات أن ينفذ إليه عليه السلام و أمّ
الفضل.

فأنفذ الزيات علي بن يقطين إليه. فتجهّز، وخرج إلى بغداد، فأكرمه
وعظمه، وأنفذ -المعتصم- أشناس ^٣ بالتحف إليه وإلى أمّ الفضل.
ثم أنفذ شراب (حمّاض الإترج) ^٤ تحت ختمه على يدي أشناس.

^١ - قاعة في مقدم الدار، وهو الآن ما يسمى في زماننا: صالة.

^٢ - الخرائج للراوندي ص ١٠٦.

^٣ - أشناس: قائد تركي من قوّاد المعتصم العباسي.

^٤ - حمّاض - على وزن: رمان - وهو نبت حامض، له ورد أحمر.

فقال (أشناس) : إنَّ أمير المؤمنين -المعتصم- ذاقه قبل (أحمد بن أبي دؤاد)،
و(سعيد بن الخضيب)، وجماعة من المعروفين. ويأمرُك أن تشرب منها
بماء الثلج، وصُنْع بالحال.

فقال ﷺ : «أشربُها بالليل.»

قال (أشناس) : إنها تنفع بارداً، وقد ذاب الثلج.

وأصرَّ على ذلك، فشرها ﷺ.^١

هذا ما روي في بعض الكتب، ولكنَّ المشهور هو أنَّ مقتل
الإمام ﷺ، كان على يد زوجته أمَّ الفضل بأمر من المعتصم، كما جاء
في أعيان الشيعة عن (المرتضى) في عيون المعجزات، قال:

(إنَّ المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر ﷺ، وأشار
على بنت المأمون: زوجته -زوجة الإمام- على قتله، لأنَّه وقف^٢ على
انحرافها عن أبي جعفر ﷺ وشدة غيرتها عليه، لتفضيله زوجته الأخرى أمَّ
الإمام الهادي ﷺ عليها، ولأنَّه لم يرزق منها ولداً.

فأجابته إلى ذلك، وجعلت سماً في عنبا رازقي^٣، ووضعت بين يديه، فلمَّا
أكل منه، ندمت على ذلك، وجعلت تبكي!

فقال ﷺ : «ما بكأؤك؟ والله ليضربنَّك الله بعقر^١ لا ينجبر، وبلاء لا
ينستر.»

^١ - راجع حياة أولي النهى / كتاب الإمام الجواد، ص ٢٣١.

^٢ - وقف: علم وأطلع.

^٣ - الرازقي هو نوع من أنواع العنب.

فماتت بعلّة في أغمض المواضع من جوارحها، صارت ناصوراً،^١
فأنفقت مالها، وجميع ما ملكته على تلك العلة..^٢

وقد ورد في كلام الإمام الرضا عليه السلام لرجل من أصحابه (واسمه: كليم بن عمران)، لما وُلد ابنه أبو جعفر عليه السلام، قال عليه السلام: «قد وُلد لي شبيه موسى بن عمران.. يُقتل غصباً، فيبكي له وعليه أهل السماء، ويغضب الله تعالى على عدوّه و ظالمه، فلا يلبث إلا يسيراً، حتى يُعجّل الله به إلى عذابه الأليم، وعقابه الشديد.»^٣

وهكذا ودّعت شمسُ إمامته عليه السلام الحياة، وسَقَطَت ثمرة أخرى من ثمار الدوحة المحمّدية.. فأمسى عليه السلام بالشهادة، أصغر الأئمة عمراً، وأقلهم بقاءً في دار الفناء..

ولكنّه عليه السلام، بخمسة وعشرين ربيعاً، أدّى رسالته حقّ الأداء، وقضى عليه السلام منها وطره في ما أمره الله وافترضه - سبحانه - عليه..

تاريخ الإستشهاد

واختلفت الأقوال في تاريخ الوفاة أيضاً، فمن قائل أنّه:

^١ - العقر: الجرح، وفي بعض النسخ: فقر بدل عقر.

^٢ - الناصور أو الناسور: علة أو قرحة في أسافل البدن.

^٣ - راجع البحار ج ٥٠ ص ٤٥. وراجع أيضاً ص ١٧ منه.

^٤ - البحار ج ٥٠ ص ١٥.

(استشهد عليه السلام يوم السادس من ذي الحجة)^١، وعدّ المسعودي وفاته عليه السلام في الخامس من شهر ذي الحجة سنة ٢١٩ هـ — وعمره الشريف ٢٥ سنة وأشهر^٢.

وجاء في (كشف الغمّة)^٣ عن (محمد بن سنان)، قال: (مضى المرتضى أبو جعفر الثاني عليه السلام وهو ابن خمس وعشرين سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً في سنة ٢٢٠ من الهجرة، ومضى إلى ربّه تعالى صابراً مظلوماً يوم الثلاثاء على ساعتين من النهار. وقُبض عليه السلام في يوم الثلاثاء لستّ ليالٍ نخلون من ذي الحجة^٤). وهذا هو المشهور.

وعليه يكون مقامه عليه السلام مع أبيه الرضا عليه السلام سبع سنين وثلاثة أشهر.. ومهما كان الحال، فقد فارق الإمام عليه السلام الحياة، وهو في مقتبل العمر. وغاب كوكب الإمامة في بدايات حياته المباركة.. إنتهت تلك الحياة المشرقة المباركة، وهو رهن الإقامة الجبريّة.. وإستراح ابن رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الحياة الممزوجة بالمكّاره والآلام، وتحقّقت أمنية المعتصم ومَن يدور في فلكه من الحاسدين والحاquدين.. ولنعم ما قيل:

^١ - البحار ج ٥٠ ص ٦٤ نقلاً عن كشف الغمّة، والأحاديث في وصيّة الإمام الجواد لابنه كثيرة فراجع.

^٢ - راجع مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٤.

^٣ - كشف الغمّة لمعرفة الأئمة ج ٣ ص ١٥٢.

^٤ - الإمام الجواد عليه السلام من المهد إلى اللحد، ص ٣٨١-٣٨٤.

^٥ - دلائل الإمامة لابن جرير ص ٢٠٨. وفي حياة أولي النهى/الإمام الجواد، ص ٢٣٣.

خمسٌ و عشرون انقضت لكنّما
تلك السنون حوافلٌ بعطائه
إن لم يطل عمرُ الجواد فإنّه
فيها انجلي من نوره الإِظلامُ
و قد ارتوت بمداذه الأَقلامُ
أغنى العقول فأشرق الإلهامُ

* * *

المثوى المبارك

كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - في الأيام التي كان في بغداد - قد اشترى أرضاً - في مقابر قريش - لنفسه قبل وفاته، ليُدفن فيها.^١ ولما قضى نحبهُ دُفن فيها.. وفي نفس البقعة، دُفن الإمام الجواد عليه السلام.

وهذه البقعة الطاهرة، والمقام المنيف - مرقد الإمامين عليهم السلام -، له تاريخ طويل، حافل بالمصائب والمآسي، أذكر بعض ما جرى فيه، بصورة موجزة، نقلاً عن كتاب (أولي النهى)، والتفصيل مذكور في (الكامل) لابن الأثير وغيره..

(بعدما دُفن الإمام الجواد عليه السلام عند قبر جدّه الإمام موسى الكاظم عليه السلام)، وانقضت فترة غير معلومة - عندنا - بُنيت على قبرهما بنية. وسمّيت البقعة بـ (الكاظمين). وكان الزائرون من الشيعة، يزورون الإمامين عليهم السلام من مسجد كان هناك، أو من وراء حجاب آخر، خوفاً من المناوئين.

وبمرور الزمان، بُنيت المساكن حول تلك البقعة المقدّسة، حتى صارت قريةً من قرى بغداد.

ووضعوا على القبرين ضريحين - بعد هدم البنية وتجديدها -.

^١ - كتاب الدرّ النظيم في مناقب الأئمة.

وفي أيام الديلمة، إرتفع الخوف، وكثر إزدحام الزوّار من الشيعة، وكثرت البيوت والمساكن..

وفي سنة ٣٣٦ هجرية، أمر معز الدولة أحمد بن بويه بتجديد عمارة المرقدين، وتحديد الضريحين، وتزيين المقام. وبني له صحناً واسعاً، رفيع الجدران. وعيّن جنوداً و عساكر لخدمة المقام، والمحافظة عليه.. فكان الناس يقصدون الزيارة أفواجاً أفواجاً، وكثر المجاورون للمقام.

وفي أيام البويهيين إزداد المقام شهرة، وازداد عدد الزوّار.

وفي سنة ٣٦٩، زاد عضد الدولة في تعمير المشهد داخلاً وخارجاً.

وفي سنة ٤٤٣، وقعت فتنة عظيمة في بغداد بين الشيعة والسنة.. وأخيراً هجم أهل السنة على مشهد الإمامين (عليه السلام)، ونهبوا ما فيه من النفائس، وفي اليوم الآخر، أحرقوا المشهد، فأحرق الضريحان والقبتان!! وفي اليوم الآخر، أرادوا حفر قبر الإمام موسى بن جعفر والإمام محمد الجواد (عليه السلام)، لنقلهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل، ولكن الله حال دون ذلك، ففشلوا وانقلبوا خائبين. وبين كلّ فترة وأخرى، كانت الفتن تثور بين الشيعة والسنة في بغداد حول كلمة (حيّ على خير العمل)^١ في الأذان و(الصلاة خير من النوم)^١ وغير ذلك.

^١ - كانت كلمة (حيّ على خير العمل) من فصول الأذان والإقامة وجزءاً منهما، في عهد رسول الله ﷺ، وفي حكومة أبي بكر، وشطر من حكومة عمر. ثم أسقط عمر هذا الفصل من الأذان والإقامة، وقال: (ثلاث كنّ على عهد رسول الله وأنا أنهيّ عنهنّ وأحرمهنّ وأعاقب عليهنّ: متعة النساء ومتعة الحجّ وحيّ على خير العمل). والعلة في منعه (حيّ على خير العمل) هو في جواب

فكانت الأحقاد تُصَبَّ على مرقد الإمامين عليهما السلام، من هُلب وهدم وإحراق، وما شابه ذلك.

ثم جُدِّد البناء في سنة ٤٤٦.

وفي سنة ٤٩٠ قام أبو الفضل الأسعد بن موسى القمِّي -أحد وزراء الملك شاه السلجوقي- بتعمير المشهد، وبني الروضة المقدَّسة بناءً محكم الأساس.

ووضَعَ صندوقين من السَّاج على القبرين الشريفين، وبني مأذنتين حول الروضة.

وفي سنة ٥١٧ أيضاً ثار المخالفون وهجموا على المشهد الشريف، وقلعوا الأبواب، ونهبوا ما وجدوا من قناديل الذهب والفضَّة والمعلقات والنفائس، وخربوا ما وصلت إليه أيديهم من الزَّينة، كلَّ ذلك في أيام المسترشد العبَّاسي.

الإمام الرضا عليه السلام، حينما سأله (محمَّد ابن أبي عمير) عن علَّة تحريم عمر، فقال الإمام عليه السلام: تريد العلَّة الظاهرة أو الباطنة؟ قال: أريدُهما جميعاً. فقال عليه السلام: أمَّا العلَّة الظاهرة، فلكلَّ يدع الناس الجهاد اتكالاً على الصلاة، وأمَّا -العلَّة- الباطنة، فإن: (خير العمل): الولاية، فأراد من أمره بترك (حيّ على خير العمل) من الأذان أن لا يقع حتُّ عليها ودُعاء إليه. وسائل الشيعة ج ٢ أبواب الأذان والإقامة.

^١ - قال العلامة البحَّانة السيد عبد الحسين شرف الدين -أعلى الله مقامه- في كتاب (النصر والاجتهاد): إنا تتبعنا السنن المختصَّة بفصول الأذان والإقامة على عهد رسول الله ﷺ فلم يكن فيها: (الصلاة خير من النوم)، بل لم يكن هذا الفصل على عهد أبي بكر -كما يعلمه جهابذة السنن ونقَّدة الحديث- وإنما أمرَ به عمر بعد مضيَّ شطر من خلافته..

وفي سنة ٥٧٥ مات المستضيء بأمر الله العباسي، وقام ابنه الناصر لدين الله - وكان من الموالين للأئمة المعصومين (عليهم السلام) - فشرع ببناء المشهد الشريف وتعميره، وتزيين الصندوق، وبناء الرواق والمآذن وتوسيع الصحن والساحة، وبناء الحجرات في أطرافها وجوانبها.

وفي أيام الظاهر بأمر الله - ابن الناصر لدين الله العباسي - وقع حريق عظيم في المشهد الشريف، فاحترق الأثاث والفرش والمصاحف والكتب، وسرت النار إلى الصندوق والضريح والقبّة الشريفة.

فأمر الظاهر بأمر الله وزيره بتعمير المشهد، وفي أثناء التعمير مات الظاهر، وقام ابنه المستنصر بالله، فأكمل التعمير.

وفي خلال هذه السنوات، كان شطّ دجلة يتفايض ماؤها، بصورة مكرّرة، ويُغرق البيوت والمحلات في بغداد، وتصل الفيضات إلى المشهد الشريف، فكانت الخسائر والأضرار كثيرة.

وفي سنة ٩٦٦، قام الشاه إسماعيل الصفوي بتحديد عمارة المشهد من أساسه، وبني القبتين الشريفتين بطرز جميل أنيق، وعوّض المنارتين بأربع منائر، وبني المسجد المعروف بـ (الجامع الصفوي) في شمال الروضة، وقام بخدمات وإنجازات جليّة أخرى.

وفي سنة ١٠٤٧، دخل السلطان العثماني مراد الرابع، فنهب جنوده مدينة بغداد، وهجموا على الروضة الكاظميّة المقدّسة، ونهبوا ما فيها من النفائس من قناديل الذهب والفضّة وغيرها.

وفي سنة ١٢١١، أمر السلطان محمد شاه القاجار، بتذهيب القبتين الشريفتين، وتذهيب رؤوس المنائر الشريفة، وأمر بتذهيب الإيوان الصغير، وأمر بفرش الرواق والروضة بالمرمر الأبيض، وأضاف إلى سعة الصحن الشريف بعض البيوت المجاورة.

وفي سنة ١٢٨٧، أمر السلطان ناصر الدين شاه، بنصب ضريح فضي على الضريح الفولاذي.

وفي سنة ١٢٩٣، قام فرهاد ميرزا-عم ناصر الدين شاه- ببناء الصحن وتحديد عمارته.. واشترى عدداً من البيوت المجاورة، وأضافها إلى سعة الصحن، وبني في أطرافه الحجرات الجميلة، وزين جميع الجدران بالقاشاني، وفرش الصحن بالصخور الثمينة..)

ويناسب في هذا المجال، ذكر ما أنشده الشيخ البهائي-أعلى الله مقامه- بشأن مرقد الإمامين الكاظمين (عليه السلام)، يقول:

ألا يا قاصدَ الزوَارِ عَرَجَ	على الغربيّ من تلك المغاني
ونعليك اخلعنْ واخضع خشوعاً	إذا لاحَتَ لديك القبتان
فتحتهما-لعمرك- نار موسى	ونور محمد يتلألآن ^١

* * *

^١-راجع كتاب أولي النهى/الإمام الجواد(ع) ص ٢٣٧-٢٤٢.

أقول: هذا مثوى الإمام الجواد عليه السلام، المظلوم، المقتول بالسم..الذي كان -حيّاً وشهيداً-، هدفاً لسهام الأعداء..والذي كان حرمه خلال أكثر من ٨٠٠ سنة، نُهزة الطامعين، ومبتغى سيوف الحقد..
فبين كل بُرْهة وأخرى، ترى شعلة النار تضرم الضريح المقدّس والروضة المباركة، فيقعان طعمة لها، وأحياناً للنهب والسرقة!..

ولكن، في هذا اليوم، وفي هذه الساعة..ذلك المثوى المنيف، وتلك الروضة المقدّسة، يتألّآن نوراً وضياءً، وروحانيّة وقدسيّة، وطهراً وازدهاراً..

ثمّ وفي نفس هذا اليوم..أسأل: أين قبر المعتصم قاتل الإمام؟

أين قبر المأمون قاتل أبيه عليه السلام؟

أين قبر أمّ الفضل؟

أين قبور قاتلي الأئمّة الهداة الميامين؟

أين ما كانوا يحصدون؟ أين التيجان والقللُ؟ أين الصفراء والبيضاء؟ أين

زهرة دنياهم التي لأجلها باعوا الآخرة؟

هل يعلم موضع دفنهم أحد؟..هل يترحم عليهم أحد؟..هل أبقى الزمان

لهم من باقية؟..

نعم، إذا ما ذُكروا، فباللعن الأبديّ، كي يُقرنوا مع فرعون وهمان

ونمرود ، و(بئس مثوى المتكبرين)..
و(إنّ هذه تذكرة، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً).

« ١١ »

بعد الإمام الجواد

لما استشهد الإمام الجواد عليه السلام في بغداد، كان الإمام الهادي عليه السلام في المدينة.

وإنَّ الغمَّ الذي دخل فؤاد الإمام الجواد من قبل، عندما استشهد أبوه عليه السلام في خراسان، فعلمَ أنَّ أباه قد استشهد، كذلك حدث في مقتله لابنه الهادي عليه السلام.

ورد في البحار: (..بينما أبو الحسن الهادي عليه السلام جالسٌ مع مؤدبٍ له يكتئ: (أبو زكريّا)، -وأبو جعفر عليه السلام عندنا أنّه ببغداد-، وأبو الحسن عليه السلام يقرأ من اللوح على مؤدبه، إذ بكى عليه السلام بكاءً شديداً، فسأله المؤدب: ما بكاؤك؟

فلم يجبه عليه السلام. فقال: ائذن لي بالدخول.

فأذن له، فارتفع الصياح والبكاء في منزله!

ثم خرج عليه السلام إلينا، فسألنا عن البكاء؟

فقال عليه السلام: «إنَّ أبي قد توفي الساعة»

فقلنا: بما علمت؟

قال عليه السلام: «قد دخلني من إجلال الله ما لم أكن أعرفه قبل ذلك، فعلمتُ

أنَّه قد مضى.»

- يقول الراوي -: فتعرّفنا ذلك الوقت من اليوم والشهر، فإذا هو ﷺ قد مضى في ذلك الوقت صلوات الله عليه.^١

ويقول (هارون بن الفضل):

(رأيتُ أبا الحسن الهادي ﷺ صاحب العسكر، في اليوم الذي توفي فيه أبوه ﷺ، يقول: «إنا لله، وإنا إليه راجعون، مضى والله أبو جعفر ﷺ».)

فقلتُ: تعلم وهو ببغداد وأنت بالمدينة؟!

قال ﷺ: «تداخلتني ذلة واستكانة لله لم أكن أعرفها».^٢

ثم إنَّ الإمام الهادي ﷺ طوى الله له الأرض ليدفن أباه الإمام الجواد في مقابر قريش..

ففي جلاء العيون: (إنَّ علياً الهادي ﷺ أقبل بطيَّ الأرض إلى بغداد، وغسل أباه وحنطه وكفنه ودفنه في مقابر قريش في ظهر جدّه موسى بن جعفر ﷺ.. ثم رجع ﷺ إلى المدينة في يومه. فلما رجع إلى المدينة ارتفعت الأصوات من الهاشميات في دُورهن.)

أقول: إنَّ من هوان الدنيا على الله أن يقضي ابن رسول الله حياته بالسّم ظلماً. وأن يقضي مَن أوصاهم النبي بمودّته، مفتت الأوصال، لينبذوا كلام الله ورسوله وراء ظهورهم، رغبة عنه يريدون، وبغيره يحكمون!

^١ - البحار ج ٥٠ ص ٢.

^٢ - دلائل الإمامة ص ٢١٩.

فكان الآيه تُسخت، إلى زجر الأمة عن مودة قربي النبي،
وإيذائهم بقصارى المجهود من الظلم والإضطهاد..و كان القتل غاية
المودة!!

يقضى أبو جعفر الجواد-بعد كلّ الغصص التي ذاقها-. ولا
يستطيع ابنه الهادي أن يأتي إليه إلا عبر المعجزة بطي الأرض، ويدفنه
عند مرقد جدّه الإمام الكاظم عليه السلام الذي عاش -كآبائه- مضطهداً
مظلوماً..

ثم لم يكتف المعتصم بذلك، بل إنّه (لما قضى الإمام عليه السلام نحبّه،
أمرَ بأن لا يحملوه، ويشيّعوه ويدفنوه ويدنوا منه. وبقي جسده عليه السلام على
الأرض أياماً بلا غسل ولا كفن ودفن! فاجتمعت الشيعة وحلفوا على
أن يُقتلوا دونه أو يدفنوه.

فقال المعتصم: دعوهم وما يريدون. فعملوا له شأنًا عظيمًا حتى دفنوه.^١
و روي أنّه: (حاول المعتصم أن يدفن الإمام سرّاً، ولا يسمح لأحد في
تشيع جنازته. ولكن الشيعة خرجوا بذلك الموكب المهيب، الذي يربو
عدددهم على اثني عشر ألفاً، والسيوف على عواتقهم، فشيعوا جنازة
الإمام رغم معارضة السلطة).^٢

^١ -راجع كتاب نور الأبصار.

^٢ - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ١ ص ٢٢٦.

ولم يترجر المعتصم بعد كلّ ذلك، بل و (نهي عن زيارة مقابر قريش^١، والحائر.

فلما كان بعد أشهر، دعا الوزير (الباقطاني)، فقال له: ألق بني الفرات، و(البرسيين)^٢، وقل لهم: لا تزوروا مقابر قريش، فقد أمر الخليفة أن يتفقّد كلّ من زار، فيقبض عليه.)^٣

..فحقاً إنّ الإمام الجواد (عليه السلام) ما كان بدعاً من الأئمة في ما جرى عليهم..

فكما هم ذاقوا من علقم الإضطهاد أشدّه،

وكما عانوا الأمرين من نزوات الأعداء،

وكما ابتلوا بطاغوت من طواغيت عصورهم، وفرعون من فراعنة

زمانهم، يجرعونهم الغصص، ويحاربونهم بكلّ ما أوتوا من حول وقوّة..

كذلك الإمام الجواد (عليه السلام).

لم يُرم لهم إلا الخير، ولم ييغوا له إلا الشر، فتعساً لهم وويلًا،

وسقياً له (عليه السلام) ورعياً، والسلام عليه يوم خلق نوراً زاهراً وضياءً، ويوم

وُلد طهراً طاهراً مطهراً، ويوم قُتل برّاً تقياً نقيّاً، ويوم يُبعث حياً.

^١ - المراد من مقابر قريش: الإمام موسى الكاظم والإمام محمّد الجواد.

^٢ - برس: قرية بين الحلة والكوفة.

^٣ - البحار ج ٥١ ص ٣١٢.

مَدِينَةُ الْخَوَارِزْمِ الْعَرَبِيَّةِ
مُؤَسَّسَةُ السَّيِّدِ هَيْبَةَ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

التمهيد
تأسست سنة ١٣٦٠ - ١٩٤١
عمر السَّيِّد هَيْبَةَ - العراق

فهرس

النسب الشريف	٧
الميلاد المبارك	١٥
عهد الصبي	٢١
كناه وألقابه	٤١
فضائله وأخلاقياته	٤٥
❖ جود الجواد (عليه السلام)	٤٦
❖ علم الإمام الجواد (عليه السلام)	٥١
❖ معاجز الإمام الجواد (عليه السلام)	٧٥
❖ تقوى الإمام الجواد (عليه السلام)	٨٨
أدعية الإمام الجواد	٩١
زواج الإمام الجواد	١١١
في عصر المعتصم العباسي	١٢٣
وفي بغداد	١٢٩
وكان دور الشهادة	١٣٧
بعد الإمام الجواد	١٥٣
فهرس	١٥٩